وزارة التعليـــم العـــالي والبـــحث العـــلمي
جـــامعة عـــمار ثليجي الأغـــواط
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قســـم العلوم الانسانية

العنوان

الحياة الثقافية في المغرب الاقصى خلال عهد السعديين القرنيين 15 -16 م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ حديث و معاصر

من إعداد الطالبات:
- سعيدة شرع
- عائشة معروفي
- شريفة رمضاني

إشراف الدكتور:
-لقريت عبد الحفيظ

السنة الجامعـــــــــــية: 2015-2016

بسم الله الرحمن الرحیم

الشكر والتقدير

بداية نتوجه بالشكر الجزيل والحمد الكثير لله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إنجاز هدا العمل المتواضع لقوله تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم"•

وإلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين محمد صلى الله عليه وسلم•

لنتقدم بعد ذلك بالشكر إلى الأستاذ المشرف لقريت الذي كان لنا سندا في كل مرحلة من مراحل بحثنا وما قدمه لنا من نصائح مفيدة وتوجيهات قيمة كانت دعما لنا•

ونتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد•

الإهداء

□إلى من قال فيهما الله عز وجل: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

"الجنة تحت اقدام الامهات"

إلى من ربتني وسهرت على راحتي إلى من أنارا لي الطريق لأحقق أمنية النجاح في طلب العلم إلى من أكن لها العرفان طوال

□العمر أمي حفظها الله وأطال في عمرهما

□الى والدي

□إلى إخوتي وإلى أختي وزوجها

□إلى كل صديقاتي

□إلى من تقاسمت معهم العمل وسعوا بكل جهدهم أن يضيفوا فيه :عائشة معروفي وشريفة رمضاني

□سعيدة

□الإهداء

إلى من قال فيهما الله عز وجل: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا " إلى من كنت أهديهم مع كل موسم حصاد ثمرة فيهدونني فرحة تخترق الفؤاد إلى من ربياني وسهرا على راحتي إلى من أنارا لي الطريق لأحقق أمنية النجاح في طلب العلم إلى من أكن لهما العرفان طوال العمر أبي وأمي أطال الله في عمرهما.

إلى جدي رحمه الله وجدتي أطال الله في عمرها.

إلى من كانوا سندي في الحياة أقرب الناس نور عيناي أخواي الغاليين محمد وأحمد.

إلى أجمل وأغلى وأحن إنسانة على قلبي أختي خديجة وإلى زوجها الذي كان بمثابة الأخ الذي لم يبخل عليا بدعائه أخي محمد بن توهامي.

إلى أختي التي كانت رفيقة دربي فاطمة.

إلى أعز إنسانة على قلبي المحبوبة العمارية.

إلى أختي التي لم تلدها أمي أجمل وأنقى قلب بوشيبة زينة.

إلى البسمة التي وهبها الله لنا: ياسين وملاك رنيم ومحمد الأمين ويوسف ريان وإبراهيم الخليل.

إلى من تقاسمت معهم العمل وسعوا بكل جهدهم لأن يضيفوا فيه سعيدة شرع وشريفة رمضاني.

إلى كل من يحمل لقب معروفي وتيطاوين.

إلى جميع طلبة دفعة ماستر 2015-2016 خاصة طلبة الفوج 1.

إلى كل من أخطأت في حقهم ملتمسة من الجميع العذر وإلى كل من أحبتهم في الله وأحبوني أهدي ثمرة جهدي.

□عائشة

الإهداء

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب

الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله .

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة والنور للعاملين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى من أوصى الله عز وجل بهما في قوله : « و بالوالدين إحسانا...»

إلى نهر الحنان المتدفق الدائم و التي رآني قلبها قبل أن تراني عينيها ، إلى من ظللتني بدعواتها أينما ذهبت فكانت تحترق كالشمعة لتنير دربي ، إلى حضن الأمان و السلام ، إليك يا أعظم و أصدق قلب ، أعز ما أملك في الوجود أمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى من هو رمز العطاء و النضال و من كان سندا لي ففي الشدة و الضيق ، حرم نفسه الراحة و الرخاء ليمنحني الأمان و الاستقرار ، إلى من علمني كيف أصارع الحياة و معنى الجد و الاجتهاد و غرس في نفسي شتائل الأمل و الطموح فكان قدوتي في الحياة و سيبقى مثلي الأعلى أبي العزيز (مختار) رعاه الله و أطال عمره.

إلى قطرات دمي و أجزاء روحي المنفصلة و منهم سندي في الحياة إلى من تقاسمت معهم لحظات السعادة و لا معنى للراحة إلا بينهم إخوتي و أخواتي الأعزاء:

فاطمة ، شيماء ،أم الخير، وائل عبد الصمد ، حمزة يوسف .

إلى كل عائلة رمضاني و عائلة براميمي وبدون استثناء ،إلى محمد مريقي و حماني لا ننسى كل من ساعدنا و بالأخص الغوالي .

إلى من عشت معهن أجمل لحظات حياتي و من هن رفيقات دربي وبالأخص زاهية و فاطمة و هبيرة .

إلى كل من رافقني كل سنوات دراستي و مراحلها و كل رفيقاتي خاصة : سعيدة و عائشة.

شريفة

مقدمة

تعرض المغرب الأقصى نهاية القرن الخامس عشر ميلادي وبداية القرن السادس عشر ميلادي إلى ماتعرضت إليه كل أقطار المغرب الأخرى من تفكك داخلي وعدوان خارجي، ولقد أدى ضعف الوطاسيين إلى الإعتداءات البرتغالية والإسبانية وفوضى داخلية إلى أن برز نجم السعديين، فقدشكلت فترة السعديين فترة متميزة من تاريخ المغرب، حيث تغيرت أوضاع المغرب تغيرا عميقا في جميع الميادين الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية، وإستبدلت حالة الضعف والتمزق والإنقسام التي خيمت على ربوع المغرب خلال نهاية العهد المريني(الوطاسي) طوال القرن التاسع هجري الخامس عشرميلادي بحالة من القوة والوحدة، وما إن قامت الدولة السعدية حتى أولت عنايتها الكبرى لشؤون الثقافة في المجتمع المغربي حتى عرفت فترة من القوة والإزدهار بلغت أوجها في عهد أحمد المنصور الذهبي فإنتعشت الحركة الثقافية والفكرية في عهدهم. وإلى جانب التقدم الرائع في الفنون وبالأخص في فن العمارة فتجلى ذلك الفن المعماري العظيم في القصور السعدية خصوصا قصر البديع، ومازالت مقابر ملوك هذه الدولة في مراكش تشهد بروعة ذلك الفن وجماله، كما كان من أسباب ذلك الإزدهار العلمي والأدبي وجود كثير من نوابغ الفكر الأندلسي في المغرب .

دوافع إختيار الموضوع:

-إن موضوع الحياة الثقافية في المغرب الأقصى يعد من المواضيع الهامة على مستوى الدراسة لما له من تداعيات على معرفة التأثير الحضاري، فكل حضارة هي وليدة الإحتكاك بين المجتمعات البشرية.

- أن قصة الغزو المغربي لبلاد السودان تعتبر نقطة سواد في التاريخ إلا أن نتيجة ذلك كانت العكس، إذ مس بلاد السودان نوعا من التطور الفكري الذي شهده المغرب في العهد السعدي.

- ميلنا إلى هذا النوع من الدراسات، ورغبتنا الملحة في الإطلاع على الموروث الثقافي والحضاري الذي خلفه السعديون.

- الدراسات الثقافية التي تتناول المغرب الأقصى في الجزائر قليلة لذلك فإن الكتابة في هذا السياق ترفع معنويات الدارس لتاريخ المغاربة.

– إن القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي هو القرن الغني بالأحداث المفعمة بالتطورات الكبرى في أوروبا، وفي المغرب الأقصى خاصة.

– دراسة العصر الذي بدأ فيه نشوء الدولة السعدية في المغرب الأقصى وبروزها وإزدهارها.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

فيما يتعلق بالتحديد الزمني للعصر السعدي إخترنا كبداية له عام956هـ/1509م وهي السنة التي أجمعت فيها قبائل الجنوب على مبايعة الشريف محمد التكمدارتي الملقب بالقائم بأمر الله، وإخترنا كنهاية له عام 1075هـ/1664م وهي السنة التي بويع فيها المولى الرشيد مؤس الدولة العلوية التي خلفت دولة السعديين على عرش المغرب.

أما المكان الذي تتحدث عنه الدراسة فيشمل المنطقة الشاسعة التي إمتد إليها النفوذ السعدي في شمال إفريقيا وغربها والمنطقة الجنوبية التي كانت تمتد إلى ماوراء نهر النيجر.

إشكالية الدراسة:

الإشكالية العامة: ماهي مميزات وخصائص الحياة الثقافية في المغرب عهد السعديين؟

للإجابة على هذه الإشكالية تطرقنا إلى مجموعة من التساؤلات حول الموضوع:

– ماهي العوامل التي ساعدت على تنشيط الحركة الفكرية؟

–بماذا تميز الفن المعماري السعدي؟

–ماهي إسهامات الهجرات الأندلسية في الثقافة السعدية؟ وفيما يتجلى ذلك؟

المنهج المتبع في الدراسة:

إتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، حيث إستخدمنا في الفصل الأول المنهج التحليلي لتحليلنا لمجموعة العوامل التي نشطت الحركة الفكرية، وإستخدمنا في الفصل الثاني المنهج الوصفي للتعرف على المنشآت التي أقامها الأشراف ومايطبعها من مواصفات فنية التي تجلت أساسا في الهندسة المعمارية، أما الفصل الثالث فقد إستخدمنا المنهج السردي.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

إعتمدنا في موضوعنا على خطة إشتملت على ثلاث فصول وفصلا تمهيديا وهو بمثابة تقديم عن الأوضاع العامة بالمغرب الأقصى وقيام الدولة السعدية، تناولنا فيه ضعف الوطاسيين وقيام الدولة السعدية وأصل السعديين وفتح بلاد السودان وكذلك أهمية الدولة وإسهامها الحضاري.

أما الفصل الأول: فقد خصصناه للحركة الفكرية في عهد السعديين تناولنا فيه، المراكز الثقافية وكذا الحركة التعليمية والأدبية والتبادل الثقافي مع أقطار المغرب والمشرق ونتائجه.

وفي الفصل الثاني: إنتقلتا إلى دراسة الفن المعماري السعدي تناولنا فيه، العمارة الدينية والعمارة العسكرية وكذا العمارة المدنية.

والفصل الثالث:تكلمنا فيه عن المورسكيون وميادين مساهمتهم (تأثيرهم) اذ تحدثتا عن الهجرات الأندلسية وكذلك تأثيرهم العلمي والعمراني.

وختمنا المذكرة بخاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصلنا إليها في البحث وأتبعنا الخاتمة بملاحق خاصة، ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع المعتمدة ثم فهرس المحتويات.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

فقد كان جلها في إطار التاريخ الحديث للمغرب فإعتمدنا على مصادر عديدة كالإستقصا" للناصري في جزئه 6، وكتاب نزهة الحادي للإفراني ، ومناهل الصفا للقشتالي، وكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي .

إضافة إلى جملة من المراجع: كتاب المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات في جزئه 2، وكتاب الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي، محمد الغربي وكتابه بداية الحكم المغربي بالسودان الغربي وكتاب المغرب في عهد الدولة السعدية لعبد الكريم كريم، وكتاب تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى لعثمان عثمان إسماعيل....الخ وغيرها من الكتب.

وقد واجهتنا صعوبات في البحث منها:

- جل الدراسات التي تناولت الدولة السعدية تناولتها من الجانب السياسي والعسكري وبالأخص معركة وادي المخازن لذا فإن الجانب الثقافي لم يحظى بدراسات كثيرة.

- معظم الدراسات تهتم بفترة المنصور الذهبي من العصر السعدي.

قائمة المختصرات

أ- العربية

تح	تحقيق
تج	ترجمة
د.ط	دون طبعة
د.ن	دون نشر
د.د.ن	دون دار النشر
د.م.ن	دون مكان النشر
د.ت	دون تاريخ
ص	صفحة

ب- الاجنبية

Page	p

فصل تمهيدي

المبحث الاول : ضعف الوطاسيين و قيام الدولة السعدية

المبحث الثاني : اصل السعديين و فتح بلاد السودان

المبحث الثالث : اهمية الدولة و اسهامها الحضاري

I. ضعف الوطاسيين و قيام الدولة السعدية

1- ضعف الوطاسيين

شهد المغرب الأقصى نهاية القرن 9هـ/15م العديد من الأوضاع كضعف الوطاسيين و تزامن ذلك مع قيام السعديين الأشراف و كانت منجزاتهم فتح بلاد السودان و منجزات أخرى تمثلت في إسهاماتهم العسكرية و الإقتصادية .

لما آل الحكم في المغرب للوطاسيين[1] في الربع الاخير من القرن 9هـ/15 م ، كانت إمكانياتهم ضعيفة و سلطتهم في فاس محدودة ، فعجزوا عن صيانة الامن و الدفاع عن البلاد فإنتشرت الفوضى و الفتن معا أدى الى تجزئة المغرب الى وحدات سياسية شبه مستقلة[2] فلقد فشل الوطاسيون خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر في القيام بمهامهم التاريخية و التي يمكن أن نوجزها في ثلاث مهام رئيسية و تتمثل في إنشاء حكومة مركزية معترف بها من طرف جميع المغاربة و ضمان النظام إداريا و سياسيا ثم الجهاد ضد الإسبان و البرتغال الذين إحتلوا المراكز الساحلية الاساسية.[3]

كما أصبحث الصوفية في عهد الوطاسيين موضة العصر في المغرب كله و أقبل عليها المثقفون في المدن و الأرياف فقد حاول الوطاسيون الذين كانوا محرومين من السند القبلي أن يعوضوا عن ذلك بإيجاد سند ديني وذلك بتشجيع الصوفية وفي الوقت الذي عجز فيه الوطاسيون عن فرض سيطرتهم عن البلاد كانت الصوفية قد وطدت سلطتها الروحية على المغرب كله و لم تقتصر على الناحية الدينية بل أخذت تلعب دورا أساسيا في حياه البلاد [4] وبينما كان المغرب يتفكك و يتجزأ ، كان

---

[1]- الوطاسيين: فرع صغير من بني مرين ينتمون إلى قبيلة زناتة الأمازيغية، شغلوا مناصب عليا في دولة المرينيين، واستطاع محمد الشيخ الوطاسي في سنة 1471تأسيس دولته الوطاسية أنظر:جلول بن قومار، **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا**، مذكرة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2010، ص18.

[2]- عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**،ط3،منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب، 2006، ص16.

[3]- عبد اللطيف أكنوش، **تاريخ المؤسسات والوقائع الإجتماعية بالمغرب**، مطابع إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ت)، ص97.

[4]- محمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، (د.ت)، ص12.

البرتغاليون والإسبان في شبه الجزيرة الإيبيرية يستكملون و حدتهم ، و ما إن حل القرن 9 هـ / 15 م حتى وجد الإيبيريون أنفسهمم يتطلعون إلى توسيع نفوذهم و شجعهم على ذلك ضعف حكم إمارة بني وطاس و قد كان المغرب يمر بأزمة سياسية و إقتصاديةوإجتماعية حادة.[1]

وظهر عجز الحركات الداعية إلى مناواة الأعداء في تعبئة العامة ضد المحتلين لأن ظروف البلاد كانت بحاجة إلى قادة يتزعمون صفوف المجاهدين لمقاتله العدو و بالرغم من ذلك لم يتطلع المغرب إلى قوة خارجية لإنقاذه كما فعلت بقية الأقطار الأخرى .

و قد ضعف الوطاسيون عن توحيد المغرب سياسيا فكانت هناك مراكز كثيرة خارجة عن نفوذهم. [2]

عوامل سقوط الدولة الوطاسية:

– كان الغزو الأجنبي أعظم خطر هدد الوطاسيين منذ نشأة دولتهم لأن البرتغال على الخصوص فتحوا عدة واجهات حربية بالمغرب في أوقات متقاربة و هدد الإسبان بدورهم شمال المغرب لأنهم إحتلوا مليلية منذ سنة 1496م .

– إحتفظت عدة مراكز بإستقلال ذاتي كمراكش وتطوان وشفشاون [3] التي إحتفظ بإدارة كل منها عائلة معينة بتوارث أفرادها و رئاستها و لم يكن بالإستقلال الذاتي بطبيعة الحال مما يحفظ الدولة هيبتها و يسهل مهمتها الحربية و الادارية .

---

[1] – جلول بن قومار، المرجع السابق، ص21.

[2] – مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تج: عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تينمل للطباعة والنشر، المغرب، 1994،ص12،13.

[3] – شفشاون: بناها بنو راشد من شرفاء العلم وكانوا أهل جهاد ومرابطة على العدو وببلاد غمارة والهبط ولما توفي الأمير أبو الحسن علي بن موسى بن راشد بقيت بيد أولاده يتولون رياستها أنظر:أبو العباس أحمد الناصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج6، دار الكتاب، المغرب، 1995 ، ص41.

– إشتداد نفوذ الصلحاء بشكل لم يعرف له مثيل من قبل و فزع الناس إليهم بعدما لمسوا ضعف الدولة و عجزها عن حماية الأراضي المغربية من الإعتداء الأجنبي .

– كاد قيام السعديين يساير قيام الدولة الوطاسية فشغلوهم بذلك عن صد الخطر الأجنبي طيلة عقود من السنين و إستغل السعديون نسبهم إلى آل البيت فراحوا يعملون على تحويل الأمر إلى أيديهم و لعلهم وفقوا حيث فشل الوطاسيون.

– لم يحاول الوطاسيون أن يدخلوا تطورا يذكر لهم عن خططهم العسكرية أو أسلحتهم لان مصانعهم الحربية كانت لا تفي بحاجة البلاد فضلا عن إفتقارهم للجيش المنظم الكافي من حيث العدد .[1]

2– قيام الدولة السعدية

لقد قامت الدولة السعدية بعد ضعف دولة بني مرين و بني وطاس الذين حكموا المغرب أكثر من ثلاثة مائة سنة و بالرغم من تأييد الشعب لأولئك الأشراف الذين تصدوا للدفاع عن البلاد و تطهيرها من النصارى لم يكتب لهم الأمر أكثر من مائة و خمسين سنة إلا ملك واحد و هو أبو العباس أحمد المنصور[2] الذي نهض بأعبائه أحسن نهوض[3] فبعد إستسلام السلطة الوطاسية و تواطؤ الدول مع المحتل البرتغالي الذي شدد الحصار على المنطقة أصبحت الظروف ملائمة لأن ينجز الأشراف السعديون مشروعهم الذي إتخذ من الجهاد قواما ومن السلطة هدفا، [4]و لقد كان السبب

---

[1]– إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 2000، ص176.

[2]– أبو العباس أحمد المنصر: ولد بفاس سنة 956هـ وبويع غداة معركة وادي المخازن لقب بالمنصور استفاد من هذا النصر العظيم داخليا وخارجيا تمتع المغرب في عهده بإستقرار نسبي وكان واسع الثقافة وصفه العالم أحمد المنجور بأنه "خليفة العلماء وعالم الخلفاء" أنظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص56.

[3]– ليقي بروقنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تج: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1977، ص98.

[4]– دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص17.

في قيام هذه الدولة أوائل القرن الخامس عشر ميلادي أنهم أخذو يكثرون من حملاتهم على سواحل المغرب و في الشمال و في الغرب على المحيط الأطلسي و إستولو على كثير من الموانئ الغربية خلال هذه الفترة و كانوا كلما إستولوا على ميناء إزداد غضب الشعب إضطراما لمقاومة البرتغاليين و إخراجهم من أرض الوطن و آلم الشعب دائما أن لا يجد عند الوطاسيين قوة يستطيعون بها إنقاذ البلاد [1]فقد وصلت الدولة الوطاسية إلى درجة من الضعف بحيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء[2] و أخيرا عثروا على بغيتهم في شخص من أصل شريف[3] و يعتبر تاريخ 19 أبريل 1510 يوم ميلاد دولة الأشراف السعديين التي أخذت على عاتقها مهمة ضرب السلطة الوطاسية و توحيد البلاد تحت سلطة واحدة قصد تحرير المناطق المحتلة من طرف الكفار.[4]

فقد قامت الدولة السعدية في الجنوب حاملة شعار توحيد البلاد و تحرير المناطق المحتلة، فوجدت بذلك قبولا و إستحسانا و تجاوبت معها فئات كبيرة من الشعب المغربي،[5] و قد ظهرت دولة السعديين على يد أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله[6] في بلاد سوس فاجتمعت قبائل السوس واتفقت على بيعته مستبشرين بنسبه و عندما تمت له البيعة لقب بالقائم بأمر الله و نهض توا لجهاد البرتغاليين و نودي به سلطانا في منطقة سوس 916هـ/1510 م وإتخذ من قرية تيدسي قرب تارودانت أول عاصمة للدولة السعدية،[7] و قد إستقدم الأشراف السعديون لرفع لواء الجهاد الديني و السياسي

---

[1]- شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات** (الجزائر، المغرب الأقصى، موريطانيا، السودان)،ط1، دار المعارف، مصر، 1119، ص291.

[2]- شوقي عطاالله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977، ص198.

[3]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص291.

[4]- عبد اللطيف أكنوش، المرجع السابق، ص98.

[5] - جلول بن قومار، المرجع السابق، ص26.

[6]- أبي عبدالله محمد القائم بأمر الله: هو السلطان السعدي محمد بن عبد الرحمان الملقب بالقائم بأمر الله مؤسس الدولة السعدية بويع أميرا سنة916هـ/1510م توفي بأفوغال قرب شيشاوة سنة 923هـ ودفن بمراكش أنظر: حسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1986، ص289.

[7]- مارمول كربخال، **إفريقيا**، تج: محمد حجي، ج1، دار المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م، ص451.

و صد الغزو منذ نشأة الدولة إلى تاريخ آخر ملوكها العباس بن محمد الشيخ الأصغر 1069 هـ/1658 م.

و بالتالي فإن ظروف قيام الدولة السعدية هي :

- أن السعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياته متماسكة، و هكذا لجأواإلى إقناع الناس بشرف نسبهم حتى يبرزوا أن لقيام دولتهم أساسا دينيا و أنهم ليسوا مجرد مغتصبين خلفوا مغتصبين .
- كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء و المتصوفة و لم يكن بين الشخصيات المغرب أحسن مقاما من الأشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة فكانوا في نظرا الكثير من العامة أحق الناس بتولي الملك .
- كان الخطر الأجنبي على البلاد قد تفاقم حتى لم يعد للمقاومة الشعبية فائدة تذكر إذا لم تبادل دولة محمكة الجهاز إلى تبينها و تنسيقها .[1]

II. أصل السعديين و فتح السودان:

1- أصل السعديين و موطنهم :

يروى عن نسبهم روايات كثيرة فقد ذكر الافراني في كتابه نزهة الحادي ان نسبهم يرجع الى محمد المهدي بن محمد القائم بامر الله[2].

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص273،274.

[2] – بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد المدعو ابن عرفة بن الحسين بن ابي بكر بن علي بن الحسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله الكامل الحسن المثنى بن الحسن السبط بن امير المؤمنين أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه. انظر: محمد الافراني، **نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي**، تح: عبد اللطيف الشادلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 1988م، ص28.

وقيل إن اصل سلفهم من ينبع النخل، من أرض الحجاز[1]، و يرى المؤرخ مارتن انهم أشراف يرجعون الى فاطمة بنت الرسول[2] عليه الصلاة والسلام، وهم بنوعم السادة العلويين أشراف سجلماسة[3] يجتمعون معهم في محمد بن ابي القاسم[4].

وسبب قد ومهم من الحجاز ، هو أن أهل درعة[5] كانت لا تصلح ثمارهم و تعتر بها العاهات كثيرا فقيل لهم : لو اتيتم بشريف الى بلادكم كما اتى به اهل سجلماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم و للعلم أيضا أن ما زعمه هؤلاء السعديين من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة و تلقاه فضلاء عصرهم بالقبول و أثبتوه في مؤلفاتهم الموضوعة في أخبارهم.

ومن الناس من يطعن في ذلك كالمولى محمدين الشريف السجلماسي أول ملوك السادة العلويين صرح بذلك في بعض المسائل التي كانت تدور ببينه و بين الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها : " و قد اعتمدنا في ذلك ، يعني في عدم شرفهم على ما نقله التقاة المؤرخون لإخبار الناس، من العلماء ولقد أمعن الكل التامل بالنكر و الفكر فما وجدوكم الا من بني سعد بن بكر بن هوزان[6] الذين منهم حليمة السعدية مرضعة الرسول عليه الصلاة و السلام.

---

[1] – الحجاز: ما حجز بين تهامة ونجد وبين الشام وتهامة والبادية أنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2 (د.ط)،دارصادر لبنان (د.ت)، ص219.

[2] - Martin A,G,P :**Quatre siècle d'histoire marocaine (1504–1904)**paris 1923,P18.

[3] – سجلماسة: مدينة قديمة،ترجعها بعض الروايات إلى أن أحد الضباط الرومان، قدم من موريتانيا سماها سجلوماسة أي خاتم النصر،كانت لها أسوار عالية وجميلة مازالت آثارها قائمة أنظر:مارمول كربخال، **إفريقيا**، تج: محمد حجي، ج2، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م، ص153 - 154.

[4] – الناصري، المصدر السابق،ص3- 4.

[5] – درعة: إقليم يمتد عند الأطلس ويمتد جنوبا على مسافة 250 ميلا عبر صحراء ليبيا أنظر : الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تج محمد حجي وآخرون، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983، ص118.

[6] – الناصري: المصدر السابق، ص4.

2- فتح بلاد السودان :

اجتمعت العديد من الظروف و الأوضاع في المنطقة كانتشار فوضى سياسية و اجتماعية واقتصادية فشل ابناؤها بالخروج منها الى دائرة الامان، وجاء في كتاب تاريخ السودان ما يصور لنا عن الحياة الدينية أواخر القرن 16م لإمبراطوريه سنغاي، حيث ظهر الانحلال الاخلاقي بارتكاب المعاصي جهرا من شرب الخمر، واللواط، وانتشار الزنا... فأصبحت المعاصي مفخرة"... فتغير الجميع حينئذ و صار الامن خوفا، والنعمة عذابا و حسرة، والعافية بلاءا و شدة و دخل الناس يأكل بعضهم بعضا في جميع الامكنة طولا و عرضا بالإغارة والحرابة الى قرب انقراض دولتهم ، وزوال ممتلكاتهم ، بدلوا الله كفرا، و ما تركوا شيئا من معاصي الله، الا ارتكبوه جهرا من شرب الخمور، و نكحة الذكور، و لهذا انتقم الله سبحانه منهم، بهذه المحلة المنصورة، فرماهم بها من مسافة بعيدة و مكايدة شديدة فاجتث عروقهم من اجلها، و لحقوا بأصحاب العبر و أهلها "[1]، وهذا ما يوضح لنا انهم غيروا على ما كانوا عليه اي الاسلام بالكفر، ، من جهة اخرى ساعدت الظروف السلطان السعدي لتحقيق هدفه بوصول أحد أفراد الاسرة المالكة في سنغاي[2] و الذي طلب مساعدة السلطان في الوصول للحكم وطلب منه مساعدته العسكرية ضد أخيه و كتب طلبا يرغب فيه إمداداه بالعساكر ليعود الى عرشه بسنغاي لأنه أحق بهمن اخيه[3]، و قد ذكر عدد من مؤرخي السودان الغربي، معلومات عن الحملة المغربية و سيرها وقد رحب عدد من الاهالي بهذه الحملة الا اننا لا ننفي

---

[1]- عبدالرحمان السعدي، **تاريخ السودان**، تج: هداس، (د.ط)، المكتبة الأمريكية والشرقية، فرنسا، 1981م ،ص143.

[2]- سنغاي: قبيلة كانت تسكن النيجر،ثم طلعت إلى الشمال، وأسست حوالي القرن الأول هجري دولة عرفت أطوار القوة والضعف وسنغاي لهجة هذه القبيلة، أناسها في غاية السواد، لكنهم ظرفاء جدا أنظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص162.

[3]- عبدالفتاح الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**،ج6، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1994م، ص213.

وجود معارضين لها خاصة فقهاء مدينة تنبكت أما المؤرخ السوداني جوزيف كي زاربو، يقر بالأزمة الخطيرة التي كانت تعيشها مملكة سنغاي و يصف الحملة بالغزو المغربي على بلاد السودان[1].

و امتدت فترة الحكم المغربي السعدي بالمنطقة من 1591 م تم فيها إلحاق و تبعية بلاد السودان بالدولة السعدية الى غاية 1660 م نهاية الدولة السعدية بالسودان النيجيري.

III. أهمية الدولة وإسهامها الحضاري :

1- عسكريا:

إنظم الأتراك إلى عناصر الجيش السعدي في عصر محمد المهدي الشيخ، وقد كانوا من قبل في خدمة الوطاسين وكان قائد هذه الفرقة هو صالح باي، ثم تعاقب بعده قواة آخرون.

أما في عهد عبد الله الغالب فقد جمع من أهل الأندلس طوعا أو كرها نحو أربعة عشر ألفا، وسجلهم في الديوان بقيادة سعيد الدغالي أحد المجاهدي تطواف ثم أسكنهم بالجانب الغربي بمراكش وسمهاهم " جيش النار"[2].

أما في عصر المنصور أولى المنصور إهتماما كبيرا بالقوات المسلحة وأعاد تنظيم الجيش على أسس جديدة وأحدث التنظيمات العسكرية، وضبط شؤون الإدارة والدولة كما زود القوات المسلحة بالمعدات الحربية الحديثة، وجعلها رهن إشارته باعتباره القائد الأعلى بيده مقاليد الأمور[3].

كان حرس المنصور بتألف من مجموعتين رئيستين:

1/- جيش نظامي حديث تتكون عناصره الأساسية من الاتراك والعلوج والأندلسيين ويعتمد على الأسلحة الحديثة المصنوعة محليا أو المستوردة من أوربا وسمي" عسكر النار".

---

[1]- الحواس غربي، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية**، مذكرة ماجيستير،جامعة الجزائر، 2008م-2009م،ص30.

[2]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص353.

[3]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 238.

2/- جيش التقليدي يعتمد على أسلوب التجنيد التقليدي والمعروف في المغرب، وعلى الأسلحة التقليدية غير النارية وسمي "الأسنة"[1].

وتمثل حملة السودان مدى أهمية الجيش السعدي وبعد معركة وادي المخازن 986هـ / 1578م فقد برزت آثار هذه المعركة على هيكلة المخزن السعدي وعلى جيش المنصور الذي تغدى بعيد السودان أولائك الذين وجد

فيهم أداة النفوذ كما أعطى إنتصار في هذه المعركة للمغرب وللمنصور هيبة وسمعة دولية[2].

وكانت توجد من بين فرق الجيش السعدي فوق الاسعاف مزودة بأدوية مختلفة وكانت هذه الغرفة تنقد الجرحى لتشد جراحهم وتضمد قروحهم.

وكان يوجد لدى قيادة الجيش السعدي بفاس " سجل عسكري يقيد فيه الجند الذين يتقاضون أجورا منظمة".

والخلاصة لقد توفرت القوات العسكرية أيام السعدين على عدد وافر من وسائل الحرب والمدافع والسلاح الثقيل تحتفظ به عدة مواقع ومتاحف مغربية إلى اليوم. منها على سبيل المثال: مدفعا مولاي زيدان بآسفي ، ومدفع الغالب بالله المعروض "بدار السلاح".[3] .

2- إقتصاديا :

حقق المنصور بفضل الأمن الذي كان يعم دولته الكثير من المنجزات داخل البلاد و خارجها و لاسيما في المجالات الاقتصادية المختلفة.

و من بين العوامل التي ساعدت على ازدهار إقتصاديات المغرب زمن المولي أحمد المنصور نجد :

---

[1]- محمود علي عامر و محمد خير الدين ،**تاريخ المغرب الحديث**،ج1،جامعة دمشق للطباعة ،دمشق ،(د.ت) ، ص115.

[2] - دلندة الأرقش وآخرون ، المرجع السابق، ص81.

[3]- عبد الحق المريني ،**الجيش المغربي عبر التاريخ** ، ط5، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، رباط ، 1997، ،ص59.

أ- الفلاحة :

إستفاد السعديون من ثروة المغرب الفلاحية في التنمية البلاد و إعطائها مظهرا حضاريا جديدا حصل ذلك بفضل الإهتمام بميادين الزراعة و الري [1]، و إن أدرك السعديون دور الزراعة الرئيسي في الإقتصاد المغربي لسببين أساسين ، وجود أراضي الخصبة الواسعة ثم النسبة العظيمة من السكان في البوادي الذين يعتمدون عليها ، لذلك أولى المنصور عناية كبيرة بالأراضي الفلاحية و الفلاحين و ظهور ذلك في المظاهر التالية :

1- تنظيم الزراعة و مختلف أنواع المزروعات من حبوب و فواكه و خضر ... الخ.
2- الاعتماد بالماشية للاستفادة من عائداتها التي تستخدم للأسفار و حمل الاثقال .
3- الإهتمام بالري و سقي الأراضي الزراعية عن طريق إستغلال الأودية العظيمة و الشبكة المائية الغزيرة التي تتوفر عليها الأراضي المغربية .
4- السهر على توزيع الأراضي الزراعية على القبائل لزراعتها و الإهتمام بها ، و قد وزعت على المهاجرين الأندلسيين أيضا .

فإزدهرت الحياة الزراعية و تعددت المنتوجات و كثرت قطعان الماشية كما نشط العمران بظهور مراكز حضارية في البوادي المغربية [2]

ب-الصناعة :

تطورت الصناعة و ازدهرت بصفة خاصة الصناعات التي كانت الدولة المغربية تقوم بإستغلالها و تدر عليها أرباحا عظيمة ومن أهم تلك الصناعات .

[1]- حسن السائح ، المرجع السابق ، ص306.
[2]- عبد الكريم، المرجع السابق، ص253-254.

- صناعة السكر:

فقد نمت هذه الصناعة بفضل إزدهار زراعة قصب السكر وإرتبطت صناعة السكر التي لها إرتباط بالميدان الفلاحي.

و بدأت عناية السعديين بصناعة السكر و إحداث منشآته الأولى في عهدهم على يد محمد الشيخ المهدي و أتم المنصور بناء هذه المنشآت بعده .

- الصناعات اليدوية :

لقد عرفت الحياة الإقتصادية بوجه عام تطورا ملموسا بفضل نشاط الزراعة و الصناعة و شمل الإزدهار الحرف و الصناعات اليدوية كالتجارة و الخياطة كما كانت تنسج الثياب و الأغطية في كثير من أنحاء المغرب و من أهم الصناعات اليدوية التي راحت في هذه الفترة صناعة الزرابي التركية.

- الصناعات الثقيلة :

لحاجة قوات المسلحة إلى الذخيرة و العتاد الحربي إهتم المنصور بإنشاء مصانع و تطويرها و أهم هذه المصانع تلك كانت بالقصبة الملكية بمراكش و كانت صناعات تتمثل في صناعة السفن الحربية و العتاد الحربي.

- إستخراج المعادن:

هناك بعض المعادن التي كانت تصنع بالمغرب و بعضها الأخر الذي كان يصدر خاما إلى الخارج و من أهمها : ملح البارود و معادن النحاس و الحديد و غيرها.[1]

[1] - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص256.

ج-التجارة :

فتح المنصور مجالات إقتصادية واسعة لكسب أمام سكان البادية زيادة على أعمالهم الزراعية نشطت الناحية التجارية لدى سكانها ، و تشجيعهم على أعمال البيع و الشراء و تقديم كل ما يلزم للمسافرين و السهر على خدمتهم مقابل تعويضات مادية يدفعها المسافرون مما أدى الى تشجيع للتجارة الداخلية و محاولة لإقرار دعائم الامن في البوادي المغربية من جهة أخرى .

ومن أهم ما تصدره المغرب من منتوجات : السكر و التمر و النحاس الاحمر و الذهب مسكوكا أو مصوغا ، و يتم تصديره مهربا أو مباحا و العنبر و الشمع و الخيل و الجلود و غيرها.

أما حاجيات المغرب من الخارج الأسلحة و الرماح و بعض القطع السفن الرئيسية و القصدير و أكثر الدول تعاملا مع المغرب إنجلترا .

وقد فتحت الثروات المغربية الأوروبين الذين تقاطروا عليه تجارا و صناعا و سماسرة و جواسيس مجندين و معمرين يبحثون جميعا عن كسب، و من مظاهر نشاط الملاحة التجارية بالمغرب ، أن فاس كانت فيما مضى ميناءا تجاريا نهريا .[1]

وبالتالي نستنتج أن المغرب الأقصى شهد مع قيام الدولة السعدية العديد من الإنجازات.

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 381، 383.

الفصل الأول

المبحث الأول : المراكز الثقافية

المبحث الثاني : الحركة التعليمة و الادبية

المبحث الثالث : التبادل الثقافي مع اقطار المغرب و المشرق و نتائجه

لم يقتصر الازدهار والتطور في المغرب خلال العهد السعدي في المجال الاقتصادي، بل تعدله الى المجال الفكري، فقد شهد هذا الاخير حركة فكرية نشطة، بفضل عدة عوامل ساهمت في ذلك ولعبت دورا في احداث التكامل.

I- المراكز الثقافية

1- الكبرى والصغرى

تعددت المراكز الثقافية في عديد المدن الكبرى والحواضر منها:

فاس[1]: احتلت مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، وقد عرفت طبقتين متميزتين من العلماء طبقة ابن غازي والثانية طبقة ستين أو تلاميذ الطبقة الأولى تمثل هاتان الطبقتان نقطة البداية في سلسلة علمية جديدة، سيما وقد استقبلت فاس في هذه الفترة مهاجرين من الأندلس[2]، في مختلف المساجد والمدارس لصهرهم جميعا في بوتقة العلم وتجعل منهم حلقة في السلسلة العلمية الجديدة، واحتفظت فاس في بمميزاتها القديمة المرتكزة على التعمق في دراسة الفقه المالكي والعناية القائمة بعلوم القرآن ، فدون أن نغض الطرف عما حمل إليها من العلوم

[1]- فاس:من أكبر و أجمل المدن الإفريقية، أو بالأحرى هي ثلاث مدن جمعت في واحدة تحمل نفس الإسم، وسميت فاس بإسم النهر الذي كان يسمى قديما واد الجواهر تقع معتزلة شيئا ما أنظر: مارمول كربخال، المصدر السابق،ج2 ص144.

[2]- الاندلس: كلمة أعجمية، لم يستعملها العرب في القديم عرفتها في الإسلام و هي جزيرة ذات ثلاث أركان مثل شكل المثلث قد أحاط بها بحران المحيط و المتوسط،كما سميت جزيرة العرب أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ص262،263 .

الحديثة والعقلية [1]، و من بين المراكز العلمية بها نذكر جامع القروين وقد زادت سمعته في عهد السعديين واشتهرت في الأصقاع السودانية، وجامع الأندلس ومدرسة العطارين ومدرسة الحلفاويين، ولم يقتصر عمل العلماء المحاضرين على التدريس بجامع معين،بل إن بعضهم يدرس في جوامع عديدة ، كما أن البعض يقوم إلى جانب التدريس بالإفتاء أو بمهمة الخطابة[2].

مراكش[3]: نافست فاس و تفوقت عليها، بفضل من نزح إليها من علماء فاس نفسها ومن وفد إليها من علماء البلدان المجاورة، و بلاد السودان [4]و سوس[5]، دخلوها في ركاب الأمراء الجدد، جاؤوها بحثا عن الإستقرار و العيش في كنف الدولة،وقد شهدت كبريات مساجدها نشاطا علميا واسعا، مثل جامع الشرفاء، وقد غدت عاصمة المنصور السياسية بفضل حركتها العلمية منبع العلم في الديار المغربية، و مما إمتازت به مراكش أيضا في المجال الثقافي حلقات الدرس التي كانت تعقد خلال شهر رمضان[6]، أو في مناسبة عيد المولد

[1]- محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى في عهد السعديين**، ج2، (د.ط)، دار المغرب للنشر والتوزيع الرباط، (د.ت)، ص48.

[2]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق،صص308- 314.

[3]-مراكش: مدينة عظيمة تقع في أحسن موقع بإفريقيا أسسها إبن تاشفين، أول ملك مرابطي، أنظر: مارمول كربخال المصدر السابق،ج2، ص46،47.

[4]- عمار بن خروف،**العلاقات بين الجزائر و المغرب** (1517- 1659م)، مذكرة ماجيستير، دمشق 1983ص380.

[5]- سوس: أغلبها جبال و هضاب،أودية و شعاب، يكتنفها إقليم درعة شرقا، و مرتفعات الأطلس الكبير شمالا و الصحراء الكبرى جنوبا أنظر: محمد حجي،(الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص555.

[6]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص312.

النبوي الشريف الذي كان الملوك السعديين يحتفلون به في مدينة مراكش ولعل من مظاهر إزدهار الثقافة والفكر في المدينة إنتشار الزوايا والمساجد والمؤسسات الثقافية إنطلاقا من جامع يوسف و قصر البديع.

إلى جانب الحواضر الكبرى هناك أخرى صغرى أبرزها:

مكناس[1]: تأثرت هذه المدينة بقربها من الحضارة الإدريسية و كانت مطلع القرن العاشر لا تزال تتمتع بمعادها العلمية المرينية، التي تحدثت عنها المصادر وذكرت أنه كان بداخلها ثلاث مدارس لبث العلم وفيها خزائن الكتب، أما في عهد السعديين فقد ضعفت الحركة العلمية خلال الدور الأول من العهد وتولى أفراد قليلين مهمة التدريس ثم حظيت مكناس بعناية من بعض الملوك فأحيوا معاهدها العلمية وشحنوا مكتباتها بمؤلفات، لا سيما بعد أن إستقر فيها الأمير زيدان نيابة عن والده أحمد المنصور، أما المرحلة الأخيرة من العهد نجد فيها جماعة من العلماء والأدباء الدائمين على القراءة و التدريس أو المنتصبين للقضاء و الفتية[2].

تطوان[3]:عمرها الأندلسيون المهاجرون قبيل سقوطها وبعد، مع من إنظم إليهم من سكان المنطقة لذلك نجد الحركة الثقافية ضعيفة في تطوان خلال القرن العاشر هجري، وعدد

[1]– مكناس: توجد على بعد عشر فرسخا من سلا، غير بعيدة من جبال الأطلس، حسنة البناء في سهل جميل على ضفة نهر لطيف، ذات أسوار متينةأنظر: مارمول كربخال،المصدر السابق، ج2،ص140، 141.

[2]– محمد حجي،(المحركة الفكرية) المرجع السابق، ص ص434- 441.

[3]– تطوان: تقع هذه المدينة التي أسسها أهل البلاد على ضفة نهر قوس الذي ينحدر من الأطلس الكبير و التي تعني باللغة الإفريقية العين الجارية أنظر : مارمول كربخال،المصدر السابق،ج2،ص222 .

العلماء قليل وكلهم من المهاجرين الطارئين، وقد أخذت الحركة العلمية في تطوان تتمكن وتتوسع في القرن الحادي عشر هجري، ولو أن ظاهرة العلماء إليها ظلت قائمة بحيث نجد أكثر رجال الفكر فيها من الوافدين و بخاصة من فاس، ولم يمض قرن على تجديدها حتى إمتلأت مساجدها و زواياها بالكراسي العلمية و قد أوى إليها كبار العلماء، ثم أخذ أبناؤها النابهون يسهمون ويزاحمون في ميدان المعرفة[1].

2- القروية

برزت الزاويتين **الدلائية**[2]**والعياشية**[3]كمراكز ثقافية قروية مهمة وقد مرت الزاوية الدلائية في الميدان الثقافي بمرحلتين: امتدت أولهما إلى وفاة أحمد المنصور وكانت خلالها مركزا ثقافيا بدويا لا يقوى رغم ما أوتي من بسطة في العلم والمال على منافسة المراكزالحضرية التقليدية غير أنه لما انقلبت الأحوال على إثر وفاة المنصور، وقامت بين أبنائه وأنصارهم في الشمال حرب أهلية قضت على النشاط العلمي في الحواضر،واتجهت الأنظار إلى الزاوية الدلائية الآمنة بموقعها الحصين و المنيع[4]، و كثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب، و تكاثر عدد

---

[1]- محمد حجي،(الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص ص417- 421.

[2]- الزاوية الدلائية: نسبة إلى دلاء قبيلة من صنهاجة،كانوا يقطنون أعالي واد ملوية، ثم إستقر جدهم أبو بكر بن محمد المحاط، حيث بنى الزاوية الدلائية شرقي خنيفرة في قبيلة آيت إسحاق أنظر: إبراهيم حركات ،المرجع السابق، ص 293.

[3]- الزاوية العياشية:يدل اسم الزاوية على انتسابها إلى قبيلة آيت عياش وهي بربرية من أحواز سجلماسة أنظر: أبي سالم العياشي **إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**،تح: نفيسة الذهبي،ط1، (د.د.ن)، الرباط،1996،ص 24.

[4]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها العلمي والسياسي**، ط2،مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1988، ص 74.

المتعلمين و العلماء المشتغلين بالتدريس في مساجد الزاوية الدلائية سواء من أبناء الزاوية نفسها أو من العلماء الطارئين عليها، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبهت بخزانة الحكم المستنصر بالأندلس، و قد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية على أنها بلغت في هذا المضمار شأنا بعيدا و تفوقت على فاس في تلك الفترة و غدت مساجدها و مدارسها ومكتباتها تضاهي ما كان العهد به في فاس ومراكش[1].

الزاوية العياشية: أسس محمد بن أبي بكر زاويته على صورة زاوية الدلاء، بل هي امتداد لإشعاعهاوتعاليمها وذلك بهدف إرشاد قومه و تعليمهم، والواضح أن الاهتمام بنشر العلم وتعليم الأبناء في الزوايا كانت من الواجبات الأساسية، و كان رجال الزاوية يضطلعون قبل كل شيء بالدور الديني والعلمي وتربطهم علاقات طيبة بمختلف الزوايا المغربية الأخرى و يحظون بتقدير وإحترام من معظم أهل المنطقة[2].

إلى جانب الزاويتين الدلائية و العياشية ظهرت الفجيح[3] (الفكيك) كمركز قروي آخر مهم خلال عهد السعديين كما هو الحال في سائر جهات المغرب، و قد إشتهرت فكيك في القرن العاشر هجري بآل عبد الجبار الشرفاء الذين توارثوا العلم والصلاح أجيالا متوالية، و كان أبو القاسم القائم على زاوية آل عبد الجبار و مكتباتها العظيمة متصدرا تدريس

[1]- محمد حجي، (الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص ص 499-501.

[2]- أبي سالم العياشي، المصدر السابق، ص ص 23-26.

[3]- الفجيج:عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء، يحيط بها عدد كبير من النخيل أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 123.

الحديث والفقه واللغة و قواعدها وآدبها وبذلك أصبحت المنطقة من المراكز المتميزة بعلم الحديث في المغرب الشرقي وتحدثت المصادر عن الفكيك و إشعاعها القوي في المناطق الصحراوية و عن الشخصيات العلمية المعاصرة التي كانت على صلة بالشيخ أبي القاسم[1].

3- درعة وسوس و تفيلات2

ففي درعة ظهرت:

لكتاوة: كانت أيام السعديين و قبلهم مركزا تجاريا مهما باعتبارها إحدى المحطات الكبرى في طريق القوافل الصحراوية الرابطة بين السودان و شمال إفريقيا، وظهرت لكتاوة كمركز ثقافي متفرع عن الفجيج حيث انتقل أحد شرفائها وهو محمد بن أحمد أدفال و عاش فيها مدرسا ثم خلفه أولاده و أحفاده وأشهرهم أحمد بن محمد أدفال العالم الصوفي، صاحب المكتبة الشهيرة، ولم تنقطع الصلاة العلمية بين الفجيجولكتاوة حتى ما بعد العصر السعدي[3].

[1]- محمد حجي، (الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص 470.

[2]-تفيلالت: اسم بربري لإقليم واسع يقع وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخما لواحات فجيج وحدود الجزائر شرقا وبسائط درعة غربا، تجري فيها أنهار غريس وزيز وكبير، سكانها من الأشراف أنظر: محمد حجي، (الحركة الفكرية) المرجع السابق،ص 519.

[3]- محمد حجي، **ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (د.م.ن) 1986، ص 470،471.

تمكروت[1]: برزت فيها الزاوية الناصرية، غلب عليها الطابع الصوفي في طورها الأول، و كان شيوخها الرئيسيون يلقنون الأوراد الشاذلية، ولا يشتغل إلى جانبهم بالتدريس سوى بعض العلماء الزائرين إلى أن حل بها الشيخ محمد بن ناصر، و كان متمكنا، فأمست دار علم و كتب يقصدها الطلبة من جميع الآفاق، و كانت كذلك ثالث مركز يدرس فيه كتاب سيبويه بهذا العهد، بينما لا نجد أثر دراسة الكتاب في فاس و مراكش و غيرها من المراكز الحضرية[2].

سو س: كانت منطلقا للدولة السعدية في عصرها الأول، و كانت بها حاضرتها لفترة معينة و هي تارودانت[3]، برزت كمركز ثقافي له أهمية في جنوب المغرب و كانت مقر العديد من الأسر القائمة على تنشيط المعرفة بفضل المدارس و الخزائن التي تتوفر عليها، كما أن بعض الزعماء المحليون كانوا من أرباب الفكر المشجعين لنشره، بل كانت الزعامة في هذه المنطقة لا يظفر بها إلا فقيه أو صوفي، و قد هاجر إليها بعض المثقفين الجزائريين و أثروها عن غيرها كمستقر دائم لهم و كان لهم الفضل في تحبيب أهلها البربر العربية و نشر العلوم الدينية و اللغوية المختلفة فيها[4]، من حديث وتفسير وفقه، ومثل العهد السعدي فيها عصر

[1] – تمكروت: تبعد عن زاكورة بنحو 22 كلم إلى الجهة الجنوبية الشرقية تأسست في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م على يد الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري التمكروتي أنظر: محمد حجي، (الحركة الفكرية) المرجع السابق،ص 549.

[2] – نفسه،ص ص 550-552.

[3] –تارودانت: سماها المغاربة تورانت،أسسهاالأفارقة القدماء كانت حرة في القديم،ثم حكمها بنو مرين وجعلوها عاصمة وحسنوها كثيرا أنظر: مار مول كربخال،المصدر السابق،ج2، ص 30،31.

[4] –عمار بوخروف،المرجع السابق،ص388.

النهضة العلمية الكبرى لسببين: اختيار العلوم اللغوية والدينية و نضجها بعد الدراسات والمحاولات التي عالجها علماء سوس في ميادين التأليف، وعناية السعديين القائمة بإقليم سوس وتشجيعهم غير المحدود لرجال الفكر[1]، و من أشهر الأسر العلمية الصوفية: آل إبراهيم المرابطون[2].

تفيلالت: والأخص بالذكر مدغرة، وهو إسم قبيلة كبيرة من قبائل البربر البتر انتشر أفرادها في أقطار المغرب واستقر معظمهم بتفيلالت وضواحي تلمسان، وقد انتقل على عهد السعديين بعض شرفاء سجلماسة الحسينيين، لذلك نجد العلم هنا في أسرتين كبيرتين هما:آل ابن عمر المدغريون و آل إبن طاهر الحسينيون، وفي سجلماسة برز العالم على بن عبد العزيز فقيه وأستاذ، قرأ في تفيلالت وفاس والشرق العربي، وحصل على إجازات من كبار شيوخ العصر قبل أن يتصدر للتدريس بسجلماسة، وأخذ عنه طلبتها تجويد القرآن الكريم و سائر العلوم الشرعية، و كان السعديون يستدعونه إلى حاضرة مراكش في جملة من يدعون من العلماء عند المواسم الدينية و خاصة عيد المولد النبوي الشريف[3].هذا ما يعني ان اسر وعائلات حملت على عاتقها مسؤولية نشر العلم والتعليم في هذه الربوع.

4- الصحراء و السودان

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 453.

[2]- محمد حجي، (الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص 555-556.

[3] - نفسه، ص 520.

برزت توات[1] وولاته[2] و بني عباس[3] وتيكورارين[4]، و كانت من الأسر العريقة في توات العصنونيون الذين توارثوا العلم و القضاء في هذه المنطقة منذ أيام المرنيين و كان منهم في العصر السعدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني التواتي، وسالم بن محمد ابن أبي بكر العصنوني التواتي، إشتغل في تمنطيط[5] تولى على عادة قومه بالتدريس والإفتاء والقضاء، وصل نفوذه إلى بلاد السودان، فأسلم على يده كثير من الوثنيين، أما في ولاته فقد ظلت حركة العلم تتنامى فيها وتضمر في تمبكتو على مر الأيام، حتى كادت حاضرة الثقافة السودانية تخلو من العلم و العلماء، و قد هاجر إلى ولاته جماعة من فقهاء تمبكتو فرا من جور الملك السنغائي، و حل بها رجال كانوا دعاة إلى الله ومعلمين ومرشدين[6]، نذكر منهم محمد ابن محمد التيتلي الولاتي، فأقام فيها مدرسا و مفتيا ثم قاضيا و أدرك وجاهة عظيمة عند قومه و لدى الحكام السعديين، و عبد الله بن أحمد الولاتي، اشتهر إلى جانب مشاركته بالتضلع في

[1]–توات: يرى البعض أن توات اسم لأحد القبائل الصحراوية بالجنوب ويرى آخرون اسم أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود أنظر: مبارك جعفري، **مجلة الواحات** ،العدد 15 ،2011 ص 399.

[2]– ولاتة: مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان،فليس لها من الأماكن المسكونة سوى 3 قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بين حدائق النخل أنظر:الحسن الوزان،المرجع السابق،ص 161.

[3]– بني عباس: تقع قرى بني عباس على وادي الساورة،وهي 3 قرى متصلة في سفح جبل صغير على شفير وادي الوادي فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين أنظر :محمد حجي،(الحركة الفكرية) المرجع السابق،ص 625.

[4]– تيكورارين: تقع هذه المنطقة بصحراء نوميديا ،أهلها أغنياء وينتقلون إلى السودان بغية التجارة وتشكل هذه المنطقة نقطة التقاء وتجمع بالنسبة للقوافل التي تعبر صحاري ليبيا أنظر: مارمول كربخال،المصدر السابق،ج2،ص136.

[5]– تمنطيط: إسم لمدينة في إقليم توات،وهي قريبة من عاصمة الولاية أدرار، وهي كلمة بربرية تعني بالعربية الجبهة والعينان انظر: نفسه، ص240.

[6] –الخليل النحوي، **بلاد شنقيط... المنارة**، الرباط، (د.ط)،المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس،1987ص 68.

قواعد اللغة والأدب، إشتغل في مسقط رأسه بالتدريس والتأليف أما عن المدارس، فبرزت مدرسة أهل سيدي عثمان التي أسسها محمد ابن سيدي عثمان الداودي ومن رجالها البارزين العلامتان محمد يحي الولاتي ومحمد بن يحي سليمة[1].

بني عباس: إشتهرت كمركز علمي عندما حل بها الفقيه أحمد إبن عبدالله بن أبي محلى وهو أديب و صوفي ثائر، أقبل على التدريس، وتنوعت دروسه فشملت اللغة و قواعدها والحديث و الفقه و التصوف وفيها ألف أعظم كتبه، و منها قام بالثورة، كما جاء إلى قرى بني عباس في جملة الوافدين،علي ابن أبي محلي للمقام فيها شهورا وسليمان إبن محمد الكومي فقيه أديب متصوف، كان من أتباع شيخ فجيح عبد القادر السماحي ثم تخلى عنه في جملة المتخلين على أثر الحملة الكبرى التي قام بها إبن أبي محلي في التشهير بذلك الشيخ[2]

تيكورارين: برز فيها العديد من العلماء والادباء على عهد السعديين منهم عمر إبن صالح الاكروتي الجراري فقيه، تخرج في فاس على يد أئمة القرويين، ثم انتصب للتدريس في تيكورارين مدة طويلة حتى عين شيخ الجماعة بها، و قد قصده الطلبة حتى من تفيلالت وكذلك من علمائها محمد ابن عبد الله بم عبد الكريم الجراري فقيه أديب صوفي، أسند إليه أحمد المنصور مهمة القضاء في تيكورارين و ما ورائها من المناطق الصحراوية، فكان قاضي الجماعة هناك

[1]-الخليل النحوي، المرجع السابق،ص 69.

[2]- محمد حجي، (الحركة الفكرية)المرجع السابق،ص 626.

ولم تصرفه مهامه في الحكم عن التدريس و إرشاد المريدين على طريق الشيخ السماحي[1].

II- الحركة التعليمية والأدبية

1- حركة التأليف

إتسعت و تنوعت خلال هذا العصر و هذا راجع إلى العديد من العوامل أهمها النساخة والوراقة التي ساهمت في غزارة التأليف و بالتالي تنوع الحركة التأليفية و لعل ذلك برز في تنوع العلوم التي إنتشرت خلال هذه الفترة، و قد تخللها نوع من الإبداع ساهم هو الآخر في إزدهارها، و من هاته العلوم نذكر:

الأدب: كانت كل العوامل والظروف تشجع على إزدهار الحركة الأدبية، وقد كان الملوك و الأمراء لهم ذوق أدبي من شأنه أن يشجع الشعراء و الكتاب على الإبداع و لو في إطار المدح و المناسبات الدينية و الإنتصارات وقد ظل المدح أخصب فنون الشعر، و لم تكن أوصاف الممدوح في جملتها تبلغ حد الإفراط، كما في عهد الإنحطاط بالمشرق أما شعر الرثاء فتسوده مسحة من الرقة و صدق العاطفة،وقد ترك الملوك و الأمراء فنون بتسجيل أبيات شعرية على قبور موتاهم، وامتاز الفن الأدبي بالتراسل و الشعر والنثر،وهي ظاهرة لم تكن جارية من قبل[2].

[1]- محمد حجي،(الحركة الفكرية) المرجع السابق، ص 629.

[2] - ابراهيم حركات، المرجع السابق،ص452.

أما الغزل والنسيب، فلا ريب أن أرق ما قيل فيه كان من نظم بعض الملوك والأمراء لتوفر أسبابه ومناخه كما في بعض قصائد المتوكل و المتصور زيدان[1] و إمتاز أسلوب المؤلفات برصانته لا سيما أسلوب ذوي الثقافة الناضجة، و لعل أبرزهم القشتالي الذي تأثر إلى حد كبير بأسلوب إبن خلدون في العبر و أحسن نماذجه بهذا العدد كتابه مناهل الصفا ومن الكتب المؤلفة في هذا العهد طلائع اليمن و النجاح لمحمد إبن عبد العزيز التاملي في مدح المأمون السعدي.

- شرح مقصورة المكودي لأبي بكر التاملي.
- ديوان سعيد إبن علي الحامدي.
- مجموع شعر و نثر لمحمد محاولو[2].

العلوم الدينية:بلغ الإهتمام بها حدا فائقا حيث أقبل الطلاب على تلقي علم القراءات و تعددت كتب النوازل، كما صارت دراسة العقائد تتخذ طابعا إلزاميا، و كانت دراسة علم القراءات تساير دراسة الفقه و تلازمها، و من الكتب المؤلفة في القراءات :

- إتقان الصنعة في قراءة السبعة لأحمد إبن شعيب.
- شرح مورد الضمآن في علم رسم القرآن لإبن عاشر.

[1]- أبي فارس عبد العزيز القشتالي،**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، (د.ط)،مطبوعات وزارةالأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، (د.ت)،ص207.

[2]- إبراهيم حركات،المرجع السابق،ص ص456-459.

- تقييد وقف القرآن لمحمد الصماتياالهبطي

كما كانت ميزة العصر،الإعتناء بتفسير القرآن، أما الفقه فيعد المميزون فيه و المتعاطون له بالمئات، على أن ميزة الفقهاء هي تصدر عدد منهم للفتوى و وضع كتب في النوازل، وأكثر ما ألف في هذا العصر من كتب الفقه و العقائد حواشي و شروح و من أهم كتب النوازل الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة في نحو خمسمائة صفحة لعبد العزيز الزياتي[1].

العلوم الصوفية: وجد عشاق التصوف عطاءا من الفكر الصوفي الذي خلفته العصور سواء بالمغرب أو خارجه، غير أن عطاء العصر بلغ الذروة في هذا المجال بعد أن برهن أصحابها و أنصارهم على الفعالية القوية فضلا عن قوة تأثيرهم في إنشاء الدولة السعدية ثم تنحيتها و شملت حركة التأليف في مجال التصوف أبوابا متعددة و كان الإنتاج غزيرا وغنيا إلى درجة كبيرة، و كانت الإهتمامات الرئيسية في هذا المجال شرح أسس الطرق و مميزاتها، وبعض التصانيف اتجهت إلى شرح الدعوات و الأوراد التي كانت تشكل العمود الفقري لكل طريقة، ومن ذلك منظومة أبي سالم العياشي لمذكرة أحمد الزروق المسماة أصول الطريقة وتحفة أهل الصديقة بأسانيد الطائفة الجزولية و الزروقية لمحمد المهدي الفاسي، و تناول أبو ربيع الحوات الزاوية الدلائية التي تأخذ عن الجزولية التي هي نفسها شاذلية، و لقد أصبح للصوفية في هذا العهد نفوذ على العامة لايكاد يصدق و نسبت إليهم كرامات، وفي هذا

[1]- ابراهيم حركات، المرجع السابق،ص260.

العهد انتشرت الزوايا على نطاق واسع ومن أشهرها: الزاوية الفاسية نسبة إلى يوسف الفاسي ومركزها فاس، الزاوية الناصرية، ومؤسسها ناصر الدرعي، الزاوية الجزولية و مركزها بسوس الزاوية العيساوية منسوبة إلى شيخها أبي عبد الله المهدي السفياني السملالي و قد عني بعض علماء التصوف بوضع كتب و رسائل في التصوف، على شكل موعظات و توجيها إلى المريدين، أو مختصرات أو شروح لبعض المنظومات، و ممن ألفوا في ذلك: عبد الوارث اليالصوتي صاحب المسلك القريب الموصول إلى حضرة الحبيب، محمد أحمد المسناوي: فوائد في التصوف[1].

علوم اللغة: شهدت إقبالا واسعا في الأوساط البربرية بالرغم من بساطة طرق التعليم وأدواته التي لم تتقدم كما كانت عليه من قبل، فقد ظلت الألفية و الأجرومية بمختلف شروحها تتصدران وحدهما بعناية الطلاب و الأساتدة، ووظفت المنظومات والشروح في سائر المواد بشكل دائم ومن أشهر النحاة القرويين: فتح اللطيف في علم التصريف لمحمد المرابط الدلائي، بحاشية على شرح المراد للقدومي أماالمعاجم فمساهمة المغاربة فيها ضعيفة لأن مصادر الفصحى سواء المباشرة أو غير المباشرة فهي بالبلاد العربية الشرقية، و من بين المعاجم التي وضعت بالمغرب كشف الرموز، و معجم لاتيني عبراني للحسن الوزاني[2].

[1]- إبراهيم حركات ، المرجع السابق،ص269.

[2]- ابراهيم حركات،**التيارات السياسية والفكرية بالمغرب**،ط2، دار الرشاد الحديثة، الجزائر، 1994م،ص 463.

الطب والصيدلية: كان لانتشار الاوبئة وداء الطاعون بين اللآونة والاخرى في المغرب الاثر في ظهور العديد من الابحات الطبية والصيدلية لاكتشاف عقاقير وأدوية تساعد على مقاومة الداء الخطير، ومن أشهر الأطباء في هذا العصر: أبو عبد الله محمد طبيب المنصور الخاص والحسن المسغيوي وأبو القاسم الغول القشتالي ومن مؤلفاته: حافظ المزاج ولاقط الامشاج بالعلاج، وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار للوزير الغساني، ومغنى الطبيب عن كتب اعداء الحبيب للغساني أيضا، والقانون المفيد في علاج الحصى يقول سديد لابن مسعود، ومحمد البعقيلي، وله مجموعة في الطب بعنوان: طب البعقيلي[1].

التاريخ: بغض النظر عن عدم مساهمة المغاربة في التاريخ العام مساهمة ذات أثر فان العناية بالتاريخ المحلي بدأت تبرز أكثر فأكثر من أيام المرابطين، لكن القرنين 10و11هـ/16و17م كان الإهتمام بالتاريخ من نصيب مؤرخين أغلبهم ذو حظوة لدى البلاط، أو كلفوا رسميا بوضع تاريخ الدولة، وعلى العموم فإن تاريخ المغرب في القرنين المذكورين يضم:

تاريخ الحكم السعدي، تاريخ الدلائين وسوس، تاريخ ثورة ابن ابي محلي، حركة العياشي وأما المصادر التي يمكن الإستفادة منها فهي إما كتب تاريخ سياسي أو تراجم أو فهارس شيوخ أو كتب أنساب أو تقارير أجنبية، ومن بين المؤلفات عن العصر السعدي: مناهل الصفا لأبي فارس عبد العزيز القشتالي في بضعة مجلدات، الممدود والمقصور من سنا أبي العباس المنصور

[1]- ابراهيم حركات، (التيارات السياسية) المرجع السابق، ص 466.

لأبي عبد الله بن محمد بن عيسى، تقييد في بعض حوداث الدولة السعدية لإبراهيم الورياغلي، المنتقى المقصور على مآثر مولانا المنصور لأحمد بن القاضي، أما عن تاريخ الدلائيين، فلم توضع إلا كتب متأخرة سيما البدور الضاوية لسليمان الحوات وألف محمد المهدي بن سودة كتابا مطولا في ستة مجلدات عن الدلائيين، ولكن لايعرف مصيره، وتناول كتب التراجم أشخاصا أو بلدا معينا، ومن أهمها: جذوة الاقتباس، ودرة الحجال، وكلاهما لابن القاضي، دوحة الناشر لابن عسكر، ومن كتب الفهارس: فهرس البوسعيدي وفهرس عبد الواحد الشريف[1].

أما في بلاد السودان فقد أصبح عهد الحكم المغربي، بداية للحركة العلمية الحقيقية من حيث التأليف في مجالات متنوعة جديدة، على أيدي أبناءه منهم محمود كعت وأحمد بابا، وعبد الرحمان السعدي وأخذت مؤلفاتهم طريقها للتدريس في جامعات المشرق والمغرب أما عن أهم المؤلفات فهي كالتالي:كتاب (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار) لمحمود كعت ويتناول الكتاب فترة إمبراطورية سنغاي منذ سني علي 1464م، مرورا بفترة الأسكين (1492-1591م)، ودرس08 سنوات من الحكم المغربي بالسودان، أما أسلوبه فهو بسيط ومفهوم[2].

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص321.

[2]- الحواس غربي، المرجع السابق، ص103.

-عبد الرحمن السعدي: عاش خلال فترة الحكم المغرب ببلاد السودان، ألف كتاب سماه (تاريخ السودان)، يتناول فترة الاسكيين، والجزء الاكبر منه يتحدث عن فترة الحكم المغربي لهدا يعتبر أوفر المصادر على هذه الفترة الثانية، وأوفر معلومات من كتاب تاريخ الفتاش، غير أنه يمتاز بالتعقيد وتفكك الأفكار خلال دراسة فترة الحكم المغربي، إضافةإلى ذلك أن جانب الدراسة أغلبه عسكري، وكانت فترة تأليفة خلال السيادة المغربية بالبلاد.

-أحمد بابا التنبكتي: ذكر التنبكتي أنه أراد التأليف ببلاد السودان غير أن الظروف لم تساعفه في مقصده، ونفيه إلى مراكش ووجوده بها وتوفر المادة العلمية أتاح له فرصة التأليف وزاد تأليفه عن 39 كتابا من أشهرها، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ويعتبران أن مصدران هامان لسير العلماء والفقهاء، فقد ترجم لأعلام كثيرة من المغرب الاسلامي، أما أسلوبه فهو متين وبليغ، على عكس السعدي وكعت ونفيه إلى مراكش أكسبه معرفة أكثر ومكانه علمية مرموقة، وأعلى المراتب العلمية في الافتاء والامامة بمسجد الشرفاء أعظم مساجد مراكش[1].

ومن مظاهر عناية السعديين بالحركة الأدبية حرصهم على تأسيس الخزائن والمكتبات سواءا باقتناء الكتب أو استنساخها، أو الأمر بتأليفها وقد أسس المنصور الذهبي خزانة عظيمة سميه بالخزانة المنصورية جمعت كتبها في مختلف الأقطار، و كان المنصور يبعث سفراءه إلى البلاد المشرقية ليزود الخزائن المغربية بما ينقصها من الكتب التي تعالج سائر العلوم

[1]- الحواس غربي، المرجع السابق، ص103،104.

والفنون[1]، وقد ضمت إلى خزانة القرويين بعد وفاته، كما اشتهرت خزانة الدلائيين بنفائسها وخزانة تمكروت وزاوية العياشي بدخائر الكتب الغزيرة.

ومن المكتبات المهمة بالصحراء المكتبة المسناوية بتكورارين التي كانت تضم في العهد السعدي كتبا من السودان والعراق والحجاز واليمن ومصر والمغرب ومكتبة شيخ ماء العينين بالسمارة التي تضم فيها مخطوطات صحراوية وشنكيطية وسوسية وسودانية وفاسية[2] ونظرا لتلك الاهمية للمكتبات في كل العصور، فإن الأوقاف كانت هي المصدر الذي ينفق منه على المكتبات وما يلزمها من ترميم للبناء، ومد المكتبة بالكتب الجديدة ودفع مرتبات الموظفين[3]،ومن نمادج المكتبات الوقفية الاهلية الذي يوقفها العلماء على أبنائهم الذكور مكتبة الزاوية الحمزية (العياشية) أوقفها الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر العياشي وأخوه عبد الجبار[4].

2- التعليم

أصبح التعليم في قرن 10هـ و11هـ/16-17م أقرب مايكون الى الديمقراطية حيت عم عدة مدن كبرى وصغرى ومراكز قروية في شتى جهات البلاد، ولم تكن الحلقات العلمية في

---

[1]- عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج2 ،ط2 ، دار النشر المعرفة، المغرب، 2000، ص450.

[2]- محمدالغربي،المرجع السابق،ص557،558.

[3]- أحمد شلبي، **موسوعة الحضارة الاسلامية**: التربية والتعليم في الفكر الاسلامي، ط11،مكتبة النهضة المصرية (د.م.ن)،1999، ص183.

[4]- عبد الكريم العيوني، **التكوين الحضاري لتمويل الوقف للمؤسسات التعليمية والثقافية في المجتمعات الاسلامية**،(د.د.ن)،(د.م.ن)، 1996م.ص22.

فاس وقفا على الطلبة، بل كان يحضرها عامة الناس أيضا، وقد كانت نسبة الحاضرين من الطلبة والعامة تختلف باختلاف موضوعات التدريس وحسب مقدرة المحاضر وفصاحته، وتعظيما من المولى أحمد المنصور للعلم ورجاله وطلبته، فقد كان يحضر مجالس الدراسة بالقرويين عند حضوره إلى فاس ويكرم القائمين على ذلك[1]، كما كان الأستاذ يدرس أكثر من مادة واحدة ويلقي الدرس من الكتاب، وإعتبرت المساجد في مختلف المدن المغربية أماكن للدرس والتدريس والتحصيل، وكان التعليم يجرى بجميع أطواره في المساجد، وظلت الحواشي والشروح تدرس سواء في التفسير أو علوم الحديث وكل ذلك يدور حول المذهب المالكي الذي كان هو مذهب أهل المغرب والسودان[2].

وقد حظيت المرأة هي الأخرى من نصيبها في التعليم، إذظلت القرويين بيوت العلماء والفقهاء بمن فيها من بنات وأمهات مراكز علم يتلقين فيها ما ينفعهن في دينهن ودنياهن، علاوة على دور الخلفاء والملوك التي كانت تعنى بتثقيف المرأة، إعدادا لها لمشورة الرجل في أوقاته الصعبة، وفي فاس على الخصوص يعرف عن العدد الكثير من مدارس البنات التي كانت تعرف باسم دار الفقيهة وكل حي من هذه أحياء المدينة، كان يتوفر على طائفة من هذه الدور التي تديرها عادة سيدات أخذت عن أعلام لهم صلة وثيقة بمجالس القرويين، وكان في القرويين أماكن كانت تساعد من حيث موقعها على حضور المرأة للاستماع مباشرة

[1]- عبد الكريم كريم، المرجع سابق، ص313.

[2]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص656.

من كبار المشايخ مثل مايسمعه الطلاب، كما أن مستودع ابن عباد الخاص بالنساء الذي كان يشرف على جامع القرويين، كرسي ظهر حصن العين ما يؤكد مشاركة المرأة للرجل في الأخد بجوانب المعرفة[1].هذا ما يعني ان التطور والانفتاح السعدي ساهم في تعليم المرأة وتثقيفها. وسنلقي نظرة على التعليم في بلاد السودان للتعرف على مدى اهتمام السعديين به

كان التعليم يجرى بجميع أطواره في المساجد، واختصت الدور بتعليم البنات في الغالب، فكانت الفقيهات يتوليين العناية بهن وحتى ببعض الصبية الذكور، وكان التعليم في ولاته إجباريا على الذكور والاناث، فإذا بلغ الصبي سن الخامسة، يحفظ الحساب، فإن تعلم ذلك يدخل الكتاب الملحق عادة بالمسجد ويبدأ دروسه يتعلم الحروف وحفظ الآيات القرآنية، ثم ينتقل الصبي إلى القراءات أو تجويد القرآن، ثم يبدأ في دراسة المتن على شيوخه، ولقد اعتبرت جميع مساجد المدن السودانية أمكنة للتدريس كجامع سنكري، وكان ذلك الجامع بمثابة جامعة لإفريقيا السوداء وكان يأتي بعده جامع سيدي يحي، وقد حظي بنوع من التنظيم والعناية لم يكن يعرفهما من قبل، ولم تعد المدارس وقفا على أبناء العلماء أنفسهم وعلى عدد قليل من الطلبة ينفق القاضي عليهم من الوقف أو من مداخليه المحدودة، بل أصبح التعليم بجميع أطواره مفتوحا أمام كل راغب في تحصيله والجلوس له، وتكلفت الادارة المغربية بأمكنة التعليم ورجاله وبالطلبة الغرباء، وهذا دليل يثبت لنا مدى اهتمام السعديين بالتعليم والعلماء في بلاد السودان، وذكرت المصادر أن تمبكتو أصبحت في بداية الحكم المغربي تعج بالطلبة

[1]– عبد الهادي التازي،(جامع القرويين) المرجع السابق ، ص443.

الذين كان بعضهم يهاجر من أقصى مناطق الغرب التي كانت محرومة من التعليم فقد أصبح هناك تعليم إبتدائي ومتوسط ومتخصص[1].

3- الوراقة.

ما نلاحظه خلال دراستنا للحركة التاليفية والتعليمية هو ذلك الانسجام والتكامل بين مختلف عوامل تنشيط الحركة الفكرية، اذشهدت تطورا هي الأخرى ونظمت حرفة النساخة في هذا العصر، وأحدثت لها مشيخة كان من رؤسائها عبد العزيز بن عبد الله السكتاني ولاشك أن المنصور السعدي كان له ديوان للنساخة كان مقره في جامع قصر البديع بمراكش وكان ناسخ به على الطريقة المشرقية، وقد نبغ في هذا العصر نساخون بارعون كان فيهم أحد الأمراء السعديين وبينهم أفراد إلتزموا مستنسخات بعينها، وفي أعقاب هذا العهد إنتشرت مراكز النساخة إلى الأرياف البعيدة تبعا لقيام إمارات أو زوايا كبرى في سفوح الأطلس المتوسط والكبير، أو في بسائط درعة ومن الطريف في ولوع المغاربة بالنساخة، أنه إنبعث في هذا العصر ظاهرة الإشتغال بهذه المهنة داخل السجون، فالأشراف العلويون السجلماسيون الذين كانوا في سجن المنصور السعدي، كانت النساخة للكتب من بين موارد عيشهم في مدة سجنهم، ومن ملحقات النساخة العناية بتصحيح الكتب العلمية، والجدير بالذكر أن هذا العصر ساهم بنصيب وافر في إستنساخ الكتب النادرة والمؤلفات المهمة وقد إزدهرت الزخرفة الكتابية وإنعكست على المصاحف السعدية الشريفة وقد صنف النساخين إلى

[1]- محمد الغربي، المرجع السابق ،ص ص 551- 553 .

صنفين: وراقين سعديين وهم الذين إشتغلوا بالنساخة في هذه الفترة دون أن يختصوا بمركز معين.

الصنف الثاني: وراقون إختصوا بمركز من المراكز التي قامت خلال هذا العصر في زوايا كبرى أو إمارات صغيرة[1].

أما في بلاد السودان شهدت الوراقة توسعا كبيرا، حيت إنتشرت حوانيت الوراقين بالقرب من المساجد ومراكز التعليم، خاصة قرب مسجد سكنري، التي تبيع الكتب المنسوخة والمخطوطة للطلبة ورجال العلم والدين، حيت أنه سرعان ماينتهي المؤلف من إملاء كتابه، إلا وكان للوراق عدة نسخ للكتاب[2]، ونقل الطلبة مسودات التأليف الجديدة في نسخ متعددة لغرض بيعها محليا أو لتصديرها للجهات البعيدة، وكان من المناظر المألوفة رؤية فقيه يملي على الكتبة فصولا من كتاب أو حاشية[3].

III- التبادل الثقافي مع أقطار المغرب و المشرق ونتائجه

1- التبادل الثقافي مع الجزائر و السودان

ما أكثر ما يصادفنا أثناء دراسة الحركة الفكرية لدول المغرب العربي،ذلك التواصل و التأثير بين علماء المنطقة،وتستوقفنا هجرة العلماء بين الأقطار المغاربية إما لطلب العلم و التعرف على علمائها أو للسفارة أو مرورا بها نحو الحجاز لأداء فريضة الحج،وسنذكر بعض

[1]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص88.

[2]- الحواس غربي، المرجع السابق،ص102.

[3]- محمد الغربي،المرجع السابق ،ص 521.

العلماء من المغرب الذين زارو الجزائر:حسن الوزان المعروف عند الغربيين ب (ليون الإفريقي) الذي قام برحلة إلى الصحراء الجزائرية مستقصيا عنها بنفسه أو معتمدا على مصادر إخبارية وافرة المعلومات[1] فقد جاء تلمسان مرارا موقنا بها،وفي النصف الأول من القرن 11هـ الذي شهد إضطرابا بعد موت المنصور، جعلت كثيرا من مثقفي المغرب طلبة وعلماء يغادرونه بحثا عن الهدوء و الإستقرار والدراسة في الجزائر،فقصد تلمسان الشيخ عيسى البوسعيدي قادما إليها من فاس و إستقر بها،وجاء لتلمسان مجموعة من الدلائيين يتقدمهم محمد الحاج السلطان الدلائي بعد ان خرب السلطان الرشيد العلوي زاويتهم ونزلوا بحرم العباد حيث ضريح الشيخ أبي مدين شعيب،و مكثوا فيها بضع سنوات،مات خلالها محمد الحاج ودفن بالعباد.

– عبد الواحد بن محمد المكناسي:هاجر إلى الجزائر وإستقر بها إلى أن مات سنة1580م

– محمد السنوسي الفاسي:هاجر إلى الجزائر من فاس أيضا،ونزل أول الأمر بقسنطينة في مطلع ق 11هـ،ثم إنتقل إلى مدينة الجزائر و إستوطن بها إلى أن توفي سنة1614م،كان الداعي لهجرته في أول الأمر في الأخذ عن العلماء في الجزائر ثم طمح إلى إحتلال المناصب العلمية السامية ومدح باشا الجزائر ومن دونه،لكنه لم يحصل على مطمحه.

– علي بن الواحد السجلماسي:تخرج على يده الكثيرون منهم أبو المهدي عيسى الثعالبي في الجزائر ويحي الشاوي وغيرهما،وساهم مساهمة إيجابية في تنشيط الحياة الثقافية ورفع مستوى التعليم[2].

[1]– عبد الكريم الفكون،**منشورات الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية**، تق وتح: أبو القاسم سعد الله،ط1،دار الغرب الاسلامي،لبنان، 1987، ص58.

[2]– عمار بوخروف،المرجع السابق، ص ص390-392.

– أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي:مغربي من قبيلة الرواشد،جاء إلى قسنطينة وتصدر التدريس فيها إضطر إلى الإنتقال بعد ذلك إلى تونس هربا فيها من ملاحقة الأتراك،كان يلقب بسيبويه زمنه[1].

أما بالنسبة للجزائريين الذين زارو المغرب فنذكر منهم:

– أبا الطيب البسكري:ذهب إلى مراكش في سنة 1579مسفيرا موفدا من الأتراك العثمانيين لتقديم التهنئة للمنصور بالإنتصار في معركة واد المخازن وكان من علماء الجزائر البارزين وصفه القشتالي بالشيخ العالم الصدر الكبير،الخطيب وذكر أنه كان مفتي الجزائر[2].

–أحمد المقري التلمساني: قصد مراكش للدراسة،ثمإستقر في فاس،وتولى فيها الفتوى والخطابة قبل أن يهاجر إلى الشرق و يستقر في مصر.

– محمد إبن محمد التواتي: رحل إلى مراكش من توات،وكان من كبار مشايخ الحديث فيهاوالآخذون عنه فيها كثيرون،منهم أحمد بن القاضي.

– محمد بن علي الدرعي وولديه محمد وعلي:وكانت له مراسلات مفيدة في التصوف،أما ولده محمد الذي ذهب إلى السفارة في القسطنطينية سنة 980 هـ موفدا من قبل السلطان عبد الله الغالب بالله فقد كان فقيها كبيرا،وهو صاحب النفحة المسكية في السفارة التركية.

– محمد بن أحمد التلمساني المعروف بإبن أبي الوقاد الذي ذهب إلى سجلماسة قاضيا وخطيبا معينا من قبل السلطان السعدي،قبل أن ينتقل منها إلى مكناس و فاس،ويستقر نهائيا في تارودانت.

[1]– عبد الكريم الفكون،المصدر السابق،ص57–58.

[2]– عمار بو خروف،المرجع السابق،ص381.

– سعيد قدورة: ذهب إلى سجلماسة ضمن وفد تلمسان وبني راشد لتقديم التهاني لإبن أبي محلي الذي نجح في إسقاط سجلماسة من حكم السلطان زيدان، وقد كان إبن أبي محلى أستاذ السعيد قدورة[1].

وقد توارد على بلاد السودان عشرات العلماء واستقبلت جامعة القرويين ممن لمع إسمهم في تاريخ البلدين ونذكر منهم:محمد بن عبد الكريم المغيلي، نشأ في حي كان يسكنه اليهود إنتقل إلى فاس برسم الدراسة العليا، وقد فضل المغيلي أن يهاجر إلى السودان حيث أصبح أكبر أستاذ هناك، و إنتفعو به ثم رحل الى بلاد التكرور له تآليف منها: البدر المنير في علوم التفسير[2].

- محمود بن عمر بن محمد آقيت: من مواليدتنبكتو1463م،كان يدرس مدونة الإمام سحنون ورسالة أبي زيد والفية إبن مالك، جادل علماء مصر عندما كان في طريقه إلى الحج.

–مخلوف بن علي البلبالي: درس في ولاتة مبادئ العلوم ورسالة ابي زيد في الفقه، وإرتحل إلى المغرب فأخذ عن إبن غازي،ثم دخل تمبكتو وقرأبها[3].

- أبو القاسم التواتي:كان صالحا خييرا، وكان إمام المسجد الجامع في تمبكتو، هو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة[4].

---

[1] –عمار بو خروف،المرجع السابق،ص ص382-385.

[2]– ابي عبد الله البرتلي، **فتح الشكور في معرفة اعيان وعلماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ط1، دار الغرب الاسلامي،لبنان، 1401هـ، ص146.

[3]– أحمد التنبكتي،**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تق: عبد الحميد عبد الله،ج1-2،ط1،كلية الدعوة الاسلامية ليبيا، 1989م،ص577.

[4]– زينب سالمي،**الحركة العلمية في اقليم توات خلال قرون 08–10هـ**،مذكرة ماجيستير،جامعة تلمسان،2011-2012م،ص68-69.

2- التبادل الثقافي مع المشرق

تمثل ذلك التبادل في الرحلات الحجازية بغية أداء فريضة الحج وقد دون أصحابها ماشاهدوه خلال طريقهم ونذكر البعض منهم:

- المقري[1]:1041هـ/1632م: له رحلة حجازية كذلك، الذي قام من أعقاب مشكل سياسي بالمغرب بإستاذان العاهل المغربي للقيام بمناسك الحج، وتلك عادة كبار المغاربة، إذا أرادوا ان يخلصوا من وظائفهم السياسية يطلبون الإذن لهم بالذهاب إلى الحج ويظلون هناك حتى تتضح لهم الرؤية[2].

-إبن مليح[3]:1048هـ/1639م:وهي رحلة حجازية تحمل عنوانا طويلا(أنس الساري و الشاري من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب،وسيد الأعاجم و الأعارب)وهي رحلة لها طعم آخر بمإحتوته من معلومات مهمة عن تعلق المغاربة بالحرمين الشريفين،ومدى سعييهم من أجل الحصول على رضى تلك البقاع وقد تمت أيام السلطان الوليد بن زيدان بن المنصور الذهبي،الذي بعث بهدية فريدة للحرمين[4]رحل من مراكش عن طريق الصحراء،وهي الرحلات الغريبة التي وصفت هذا الطريق لأن الحجاج في الغالب كانوا يسافرون عن طريق الشمال الأفريقي،تقع في نحو العشرة كراريس[5].

---

[1] - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمسانيأنظر: أبي العباس أحمد، **رحلة المقري الى المغرب والمشرق**، تح: محمد بن معمر، (د.ط)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر،2004، ص5.

[2] - عبد الهادي التازي، **رحلة الرحلات**: مكة في مئة رحلة مغربة ورحلة، ج1، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005، ص188.

[3]-هو أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بإبن مليح أنظر:عبد السلام إبن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**،ط1، درا الفكر، لبنان،1997، ص418.

[4]-عبد الهادي التازي،(رحلة الرحلات) المرجع السابق،ص494.

[5]-إبن سودة،المصدر السابق،ص418.

– **العياشي**:إنطلقت رحلة العياشي من بلده أول من ربيع الثاني عام1072هـ من سجلماسةوصولا إلى مكة و قد جاء في ذلك:".....كثير الإشتياقالحنين.....بأجنحة الشوق إلى ذلك المكان .....فكانت تلك الرحلة وهي من أعظم رحلة،تقبل الله فيها صالح أعمالنا...."[1]وتعد رحلة العياشي ماء الموائد من أهم الرحلات المغربية و أكثرها إنتشارالأنها أكثر مادة تنوعا وتعرف بالرحلة الكبرى، وله رحلة تعرف بالرحلة الصغرى،وربما حملت عنوان: "التعريف و الإيجاز ببعض ما تدعو الظروف إليه في طريق الحجاز"[2]ويعتبر العياشي من أبرز الرحالة المغاربة الذين دونوا مشاهداتهم خلال أسفارهم عن الصحراء الجزائرية في العهد العثماني،وقد خصص العياشي صفحات عديدة من كتابه للجنوب الجزائري وللجنوب ولمدنه وعلمائه ولتاريخه السياسي و أوضاعه الإقتصادية و الإجتماعية[3].

3– نتائج التبادل الثقافي

كانت ثمرة التواصل و التبادل الثقافي بين الأقطار المغربية أو المشرقية هو منح العلماء إيجازات لبعضهم البعض و من بين ذلك نذكر:

– إجازة محمد بن عبد المؤمن لإبن زاكور، أما محمد بن سعيد قدورة فقد أجاز إبن زاكور إجازة مطلقة عامة ".....في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا توحيدا نحوا"، وقيل أن إبنزاكو منح أحمد العبادي التلمساني الإجازة لإبن عسكر مؤلف "دوحة الناشر" ولم يكن العبادي سوى نموذج من الجزائريين الذين منحو الإجازة لبعض علماء المغرب، ولنشر أيضا إلى إجازة

[1]–عبد الله العياشي، **الرحلة العياشية(1661م–1663م)**،تح:سعيد الفاضلي،ج1،ط1،دار السويدي، أبو ظبي،2005،ص51–52.

[2]– عبد الهادي التازي،(رحلة الرحلات) المرجع السابق،ص200–201.

[3]– الطيب بو سعد، **مجلة الواحات** ،العدد15، 2011، ص434.

عيسى الثعالبي للعياشي[1]، وإجازة سعيد المقري لأحمد إبن القاضي صاحب جذوة الاقتباس[2].

- إجازة أبي القاسم بن عبد الواحد بن العباس المخلوف لأحمد بن القاضي سنة999هـ.

– إجازة عليين أحمد القرافي لأحمد إبن القافي المؤرخة في 11ذي القعدة سنة 986هـ/9يناير 1879م.

– إجازة جماعية للمفتي عبد الواحد الحسني السجلماسي في أواخر شوال عام998/غشت1590لأحمد بن القاضي محمد التواتي ومحمد إبن اليعقوب الايسي جميع ما إشتمل عليه فهرسه.

– تدبيج(فاتحة كتاب) أحمد بن القاضي محمد بن أبي بكر التواتي (24شوال 998هـ/ 26 غشت1590م)[3].

من خلال ماسبق نستخلص ان العديد من العوامل ساهمت على تنشيط الحركة الفكرية فتعددت بذلك المراكز العلمية وعم التعليم مختلف الجهات والطبقات وهذا ما ساعد على التبادل الثقافي بين البلدان.

[1]- أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998،ص44،45.

[2]- أحمد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقبته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس**، ط2المطبعة الملكية المغرب، 1983،ص268.

[3]- محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق،(د.م.ن)،1991، ص168.

الفصل الثاني

المبحث الاول : العمارة الدينية

المبحث الثاني : العمارة العسكرية

المبحث الثالث : عمارة المدنية

لئن تراجع الإبداع الفني أواخر الفترة المرينية وطوال العصر الوطاسي فإنه قد عرف طفرة هامة مع قدوم السعديين وذلك بفضل الدعم الناتج عن إسترجاع الحكم المركزي لمكانته مع توفر الإستقرار السياسي المصحوب بإقتصاد مؤهل لتشييد المآثر الفخمة أكثر من ذي قبل والواقع أن أهمية المنشآت التي أقامها الأشراف وما يطبعها من مواصفات فنية خاصة قد تجلت أساسا في الهندسة المعمارية فلقد شيد السلاطين السعديين مآثر متنوعة دينية وعسكرية ومدنية.

I. العمارة الدينية

1- المساجد

الواقع أن المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا ومدارس لم تلق العناية بها ولم تمتد اليها يد الإصلاح والترميم طوال عصر الوطاسيين أتباع بني مرين، لكن الوضع يتغير بالنسبة لأسرة الأشراف السعديين التي تحمل بالنسب الشريف مسؤولية الجهاد للتحرر السياسي والاصلاح الإقتصادي والإجتماعي وقوام ذلك كله إشعال الحماس الديني وإنقاذ المؤسسات الدينية وبعث الروح فيها من جديد.[1]

وسيطبع السعديون المعمار الديني المغربي بتصور جديد وهو تصور جعل من المسجد نواة لتجمع البنايات التي تنتظم على شكل مركبات ويمثل هذا التصور أحسن تمثيل كل من مسجد باب دكالة ومسجد المواسين في مراكش وهكذا نجد حول المسجد مدرسة ومكتبة والكتاب القرآني ومسكن الإمام وحمام عمومي وسقاية خارجية[2] يحاذيها صهريج[1].

[1]- عثمان عثمان إسماعيل، **تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى**،ج5، ط1، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط،1993، ص63.

[2]- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **مساجد مغربية عبر التاريخ**،ج1، رواق المكتبة الوسائطية ، الدار البيضاء ، 2010، ص14.

وقد إعتبرت المساجد في مختلف المدن المغربية أماكن للدرس والتدريس والتحصيل وتهافت الطلاب على حضور حلقات العلم في المساجد التي كانت تشهد توسعا لأن الجامع كان يعتبر بمثابة المدرسة تلقى فيها علوم الدين وقد كان التعليم بجميع أطواره يجرى في المساجد أو الجوامع لاسيما أن الفقهاء كانوا يأتون بالصبية إلى المساحات الخارجية من المساجد لتحفيظهم القرآن الكريم وتدريسهم علوم الدين واللغة وقد إشتهرت الكتاتيب في العهد السعدي في جميع أنحاء البلاد والقرى وفي كل تجمع سكاني حيث حرص السلاطين السعديون على الوصول بالقرآن وعلومه إلى كل بقاع المغرب الأقصى.[2]

نماذج من المساجد المغربية خلال العهد السعدي:

أ- مسجد زاوية بن سليمان الجزولي بمراكش:

تاريخ بناء المسجد: لقد درس جورج مارسيه هذه المجموعة المعمارية وقال أنها منسوبة إلى سيدي الجزولي صاحب الطريقة الجزولية الذي نقل جثمانه إلى مراكش بأمر من السلطان الأعرج السعدي حوالي سنة 962هـ/1554م ويمكن القول بأن السلطان أبو العباس الأعرج السعدي قام بمجرد إستيلائه على مراكش بتأسيس ضريح الشيخ الجزولي في حدود عام 930هـ.

تخطيط وعمارة المسجد: يتميز ببعض الخصائص في التخطيط والعمارة على نحو ما نراه فيما بعد في مسجدي المواسين وباب دكالة حيث تسير عقود بلاطاته عمودية على اتجاه القبلة مع وجود أسكوب[3] مستعرض.

---

[1] – صهريج: كالحوض يتجمع فيه الماء أنظر: صالح العلي الصالح، **المعجم الصافي في اللغة العربية**، (د.د.ن) ،الرياض، 1981، ص347.

[2] – عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص289.

[3] – أسكوب: سكب الماء يسكبه سكبا، صبه ليجري على وجه الأرض من غير حفر و الأسكوب، الهطلان الدائم أنظر: صالح العلي الصالح، المرجع السابق، ص262.

والمسجد عبارة عن بيت للصلاة من خمسة بلاطات تقف عقودها العمودية عند ابتداء أسكوب المحراب المستعرض و يتسع بيت الصلاة لثلاثة أساكيب أخرى، وصحن المسجد مربع تحيط به مجنبات من رواق واحد شرقا وغربا وشمالا على أن المجنبة الشمالية لا تفتح بباب رئيسي على محور المحراب كما هي العادة و إنها تتصل مباشرة بصحن آخر مستطيل أقل عمقا من الصحن الأول به مجنبات من الشرق والغرب كما تحيط به من الشمال أيضا حيث تتصل تلك المجنبة الأخيرة بضريح سيدي سليمان الجزولي حيث قاعة الدفن الرئيسية[1].

ب- **الجامع الأكبر بتارودانت:**

من بناء محمد المهدي مساحته 2500م^2 ومساحة فنائه 1160م^2 ويشتمل بيت الصلاة على خمسة أساكيب والصومعة ذات معينات بارزة ومزينة بالفسيفساء إرتفاعها 27م كما أن النقوش في سقف المسجد والتي تعود إلى عهد أحمد المنصور تضفي عليه روعة وجمالا ويعد من أعظم جوامع المغرب وكان قد وصل إلى درجة من الإهمال يرثى لها إذ كانت نقوشه الخشبية قد أمحيت كليا وقد وقع ترميم هذا الجامع خلال مدة تجاوزت عشرة سنوات حتى عام 1959م حيث أعيد بناء رونقه.[2]

ت- **جامع المواسين بمراكش:**

تاريخ المسجد: يعرف بمسجد الأشراف بحي المواسين في عاصمة الجنوب مراكش وكان أهل الورع يتجنبون الصلاة فيه بعد بنائه لما يقال أن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود[3] ولقد نقل أبو العباس السلاوي عن اليفرني قوله "وفي عشرة السبعين وتسع مائة " أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين بمراكش[4] ويفهم من نص اليفرني أن بناء الجامع

[1]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص66.

[2] - إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص393.

[3] - محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص110.

[4] - الناصري، المصدر السابق، ص93.

تم في العقد السابع من المائة العاشرة للهجرة دون تحديد السنة حيث ذكر أنه من إنشاء السلطان الغالب بالله ويمكن إعتماد تاريخ بناء المسجد فيها بين عامي 965هـ و970هـ[1].

تخطيط وعمارة المسجد :

يذكر التصميم العام لجامع المواسين بتخطيط المساجد المربنية (أنظر الملحق رقم 01 ص100) حيث يزيد عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة كما تتجه عقود المسجد عمودية على جدار المحراب، وبيت الصلاة في المسجد يتكون من سبعة بلاطات عمودية على إتجاه القبلة كما يشمل على أربعة أساكيب بالإضافة إلى أسكوب المحراب وهو أسكوب مستعرض يستوقف العقود العمودية للبلاطات ويشتمل هذا الاسكوب على ثلاثة قباب واحدة أمام المحراب وواحدة في كل من طرفية أما صحن المسجد مربع المساحة تحيط به مجنبات من رواق واحد من الشرق والغرب والشمال، غير أن المجبنة الشمالية تتميز بوجود ثلاث قباب عليها.[2]

ث- جامع باب دكالة:

تاريخ بناء المسجد: من إنشاء مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورزازتي والدة المنصور الذهبي أسسته عام 965هـ/557م وقد أنشأته بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش ووقفت عليه أوقافا عظيمة.

تخطيط وعمارة المسجد: هو عبارة عن بيت للصلاة يشتمل على سبعة بلاطات تتجه عقودها عمودية بعمق المسجد نحو جدار القبلة، كما يشتمل على أربعة أساكيب[3](أنظر الملحق رقم 01 ص 100).

[1] - محمد الصغير الإفراني، المصدر السابق، ص107.

[2] - عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص70.

[3] - نفسه، ص 71.

أما صحن المسجد فهو مربع تحيط به المجنبات من نواحيه الثلاثة و تشتمل كل مجنبة منها على رواق واحد ويفتح باب بكل من واجهات المسجد الثلاثة شرقا وغربا وشمالا حيث نجد بكل من الواجهتين الشرقية والغربية بابا على محور الأسكوب المطل على الصحن أما المدخل الرئيسي فيفتح بالواجهة الشمالية الغربية وهي الواجهة الرئيسية على محور المحراب ، وقد تنوعت العقود داخل المسجد.[1]

ج- جامع الفنا:

كان المنصور قد شرع في بنائه باسم جامع الهنا بمراكش وكان الوباء في هذا الوقت يفتك بالسكان فتكا ذريعا ومات المنصور والمسجد لم يكمل فأطلق عليه جامع الفنا بسبب الوباء وقد حملت الساحة التي يوجد بها هذا الإسم أيضا.

ح- جامع أبي العباس السبتي:

نسب إلى عبد الله الغالب وأبي فارس أيضا وقد بني الجامع بجوار ضريح أبي العباس السبتي وألحقت به خزانة كبيرة.

ومن الجوامع التي وسعت بمساهمة ميزانية الدولة جامع شفشاون الذي كان أصلا من يناء أبي عبد الله محمد بن راشد في أواسط القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي وكانت الزيادة على يد القاضي بشفشاون أحمد بن شريف العلمي سنة 1012هـ وتشكل الزيادة أربع بلاطات تزيد طولا عن البلاطات القديمة، كما أن العقود أوسع وأكثر ارتفاعا، وقد ألحقت بالجامع خزانة ومدرسة لعبت دورا هاما في حقل التعليم[2].

[1] – عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص73.

[2] – إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص394.

كما أن من الإضافات بالقرويين فقد إستبدل السلطان أحمد المنصور السعدي خصة الصحن الشرقية التي وضعها الموحدون(أنظر الملحق رقم 02 ص 101) وتعرف بالحسناء وبنى فوقها قبة رائعة سنة 996هـ كما نقش خارج القبة من شعر أبي العباس الغرديس ثم أضاف عبد الله بن الشيخ حفيد المنصور خصة فوقها قبة بالجانب الغربي للصحن سنة 1018هـ وقد طرزت القبة بباقات من الشعر وبهذا قامت القبتان في وسط الجانبين الضيقين للصحن وتتكون كل قبة من ثلاث أوجه لكل منها ثلاثة عقود أوسطها أكثر سعة وتغطي القبتين قراميد خضراء[1](أنظر الملحق رقم 03 ص 102).

2- الزوايا

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة[2]

وجاء في القران الكريم :"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**"[3]وقد عرف المغرب الربط منذ الفتح الاسلامي.

فالزاوية هي عبارة عن مكان للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم وقيل في تعريف الزاوية المغربية أنها مدرسة دينية مجانية للضيافة ولم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس هجري وسميت في بادئ الأمر دار الكرامة ثم تطور أمر الزوايا بالمغرب خلال القرن السادس عشر ميلادي حيث تغلب النصارى على المسلمين في الأندلس ثم امتدت أطماعهم

[1]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص75.

[2]- الرباط: لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين أولهما البقعة التي يتجمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد والثاني عبارة عن مكان الذي يلتقي فيه صالحو المؤمنين لعبادة الله أنظر: محمد حجي(الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي)، المرجع السابق، ص21.

[3]- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 200.

إلى إحتلال الثغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن فهناك بدأت الزوايا تتدخل في شؤون البلاد السياسية وتدعوا إلى الجهاد ووجد نداء الصوفية آذانا صاغية[1]

وقد كانت الزوايا تارة بولي وتارة بدون ولي وعادة يكون بها ضريح لمؤسسها الصوفي أو لصوفي كبير ومصلى ومساكن لبعض العلماء والطلاب الغرباء وكانت توقف عليها أوقاف كثيرة وتضم مجالس علمية مؤسسة على جلب الناس بالأوراد والأذكار وتطورت الحلقات في بعضها إلى الرقص.

ولقد انتشرت الزوايا في المغرب وكانت تتلقى التلاميذ والطلبة ليتلقوا بها المبادئ الدراسية الأولى قبل متابعة دراستهم في العواصم والمساجد الكبرى[2]

والزاوية غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل وهي قصيرة الحيطان ومنخفضة القباب وقليلة النوافذ[3] وأحيانا تتكون الزاوية من طابقين إثنين يشتمل الأول على مطعم للطلبة ومرقد وبعض المرافق الأخرى، أما مسجد الزاوية فقد خص له الطابق الثاني، ويوجد بها عدد من الطلبة يتلقون فيها علوم الدين واللغة في إطار نظام داخلي دقيق والتعليم بها يبدأ بعد أداء صلاة الصبح ويستمر الى صلاة العشاء تتخللها فترات الغذاء والقيلولة.[4]

3- الأضرحة

تعريف الأضرحة:

لغة: من ضرح بمعنى حفر القبر أو شقه ويقال حفر للميت ضريح وجمعه أضرحة، وهو المبنى الذي يقام على قبر الميت.

---

[1]- محمد حجي (الزاوية الدلائية ودورها الديني والسياسي)، المرجع السابق، ص24.

[2]- حسن السائح، المرجع السابق، ص294.

[3]- نفسه، ص294.

[4]-صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البراق، بيروت، 2002، ص475.

إصطلاحا: هو المكان الذي يدفن فيه ولي صالح أو سلطان أو شخصية بارزة.

تعرف الأضرحة بروضة السعديين ذات الشهرة الواسعة في فنون العمارة والزخرفة والنقوش والكتابات العربية و تقع قبلى جامع المنصور من القصبة بمراكش.

وتضم تلك الروضة عددا من قبور الملوك العظام في تاريخ الأشراف السعديين و أولهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله و يغلب على الاعتقاد بأن روضة السعديين قد شيدت من أجله على يد إبنه و خليفته أبي محمد عبد الله الغالب رمضان (933- 981هـ)وممن دفن بها كذلك السلطان أبو العباس أحمد المنصور إبن أبي عبد الله محمد الشيخ و قد أمر المنصور بدفن والدته بروضة السعديين بعد وفاتها [1]وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يسمونها قبور الأشراف [2] غير أن بعض الإشارات توحي بأنها كانت مكانا سابقا للدفن منذ عصر الموحديين ثم المرينيين من بعدهم لأن تاريخ عمارة تلك الروضة يتضح إبتداءا من عصر الأشراف السعديين بحيث تعتبر القبة الشرقية أقدم أثر جنائزي تاريخي يعكس أسلوب المقابر المغربية التقليدي و تشتمل قاعدة الدفن الرئيسية على قبر السلطان محمد الشيخ المتوفي في العشرين من ذي الحجة 964هـ-1557 م بحيث يمكن تأريخ بنائها من عصر إبنه مولاي عبد الله المتوفي سنة 981هـ –1574م وقد نقشت على رخام قبره أبيات شعرية.[3]

وفي عصر السلطان أحمد المنصور السعدي تم توسيع البناء الذي أحيط من جوانبه الثلاثة بقاعة داخلية وممرين للدخول بمناسبة دفن والدة أحمد المنصور و لهذا تعرف القبة إلى اليوم بقبة للا مسعودة.

أما المنصور السعدي فقد قام على غرار سلاطين المماليك بمصر ببناء مقبرة لنفسه في حياته تشمل على البناء المغربي بقاعاته الثلاث و خاصة القاعة الوسطى ذات الإثني عشر

[1]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص 80.

[2] - الناصري، المصدر السابق، ص25.

[3] - عثمان عثمان إسماعيل ، المرجع السابق، ص81.

عمودا حيث يتوسطها قبر المنصور بعد أن نقله ولده على إثر وفاته بفاس سنة 1012هـ -1603م ثم دفن إبنه مولاي زيدان إلى جانبه وتبع ذلك دفن بعض الشخصيات العلمية داخل تلك القباب ، و تبرز داخل أسوار السعديين مجموعتان للبناء أصغرهما بناء جانبي قبة للا مسعودة ويعتقد جورج مارسيه أنه سبق البناء الرئيسي بنحو ثلاثين أو أربعين عاما وهو بناء صغير يشمل على قاعة صغيرة جنوبا وقاعة أخرى شمالا تعتبر النواة الأصلية للبناء [1]وفيما يتعلق بقبة للا مسعودة الواقعة غرب قبة المنصور نجد أن النواة الأصلية للبناء هي القاعة المربعة الشمالية تنحصر بين رواقين شرقا وغربا بينما تتصل جنوبا بالقاعة الأكبر مساحة ويتفق كل من الرواقين المذكورين مع الأخر تمام الاتفاق من حيث التخطيط والمساحة والعناصر المعمارية والفنون الزخرفية ويتقدم كل رواق مدخل من فتحة كبيرة الإرتفاع يحف بها من كل جانب عمود رخامي فوقه تاج ثم كتف مستطيل إلى أعلى النقوش الجصية ثم عقد مستقيم من الخشب المنقوش بزخارف متنوعة تبرز وسطها النصوص الدينية ويعتبر هذا المدخل كأهم عنصر معماري وزخرفي بكل واجهة وتتميز زخارف الرواق خلف كل من البابين بحزام من الخط النسخي المقشر في الزليج الأسود يدور حول الرواق ويستمر في القاعة الشمالية الصغرى ما يدور حول جدران القاعة الكبرى الجنوبية مع خلاف واحد هو أن حزام الخط النسخي يعلوه شريط أخر من الخط الكوفي المحفور في الجص[2] بكل من الرواقين وبعد الولوج من الباب الغربي وعبور الرواق نصل إلى فتحة في الجدار الغربي للقاعة المربعة الشمالية ويواجهنا على محور الباب دخلة أكثر عمقا على هيأة محراب تغطيها قبة مقرنصة وتتصل هذه القاعة بالقاعة الأخرى الجنوبية، وتغطي القاعة الصغرى الشمالية المشتملة على عدد من شواهد القبور الرخامية، أما القاعة الكبرى فتشتمل على عدد من شواهد القبور

[1] – عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص81.

[2] – الجص: من مواد البناء الذي يطلى به الحائط، طلاه بالجص أنظر: صالح العلي الصالح، المرجع السابق، ص97.

الرخامية منشورية الشكل ويغطيها سقف من أربع جوانب ويستمد البناء في القبتين والرواقين روعته الزخرفية ورقته الجمالية بإتساع مساحة الأسقف والجدران[1]

أما بالنسبة لبناء العمارة الرئيسية في أضرحة الأشراف السعديين حيث دفن المنصور السعدي فتتكون هذه المجموعة المعمارية من ثلاث عناصر رئيسية تتوسطها العمارة المركزية الممثلة في قاعة الدفن الكبرى وهذا العنصر المركزي يتصل جهة الجنوب بالعنصر الثاني وهو بيت للصلاة كما يتصل جهة الشمال بالعنصر الأخير وهو عبارة عن قاعة قليلة العمق[2] ولكن بنفس اتساع القاعة الرئيسية للدفن وإن بيت الصلاة جنوبا هو أقل الأقسام زخرفة ويتصدر المصلى محراب تغطيه قبة وتخطيط المصلى ينقسم إلى ثلاث أساكيب وثلاث بلاطات، و يتصل هذا البناء شمالا بالقبة الرئيسية المشتملة على قبر المنصور وقد إكتسبت جدران القبة البالغ إرتفاعها 1150م حلة رائعة من الخزف الملون متعدد الأشكال يستمد روعته من التكوينات الهندسية وتختم هذه التكوينات في الزليج بشريط كتابي يدور حول القاعة بالخط النسخي وبأعلى كل من الجدارين الشرقي والغربي نلاحظ مجموعة من ثلاثة نوافذ من الجص والزجاج الملون مما يمنحها منظرا خلابا عندما تسلط الأضواء على تلك المواد فتعكس[3] ألوانها الذهبية الزاهية إلى اليوم وتبرز التفاصيل الزخرفية المنحوتة في الجص والزجاج والرخام، أما إذا واصلنا الإتجاه شمالا من القاعة الكبرى الرئيسية نصل إلى العنصر المعماري الثالث وهو قاعة واسعة الإتساع نقابل بنهايتها حائط قسم إلى ثلاث دخلات وينقسم سقف القاعة إلى ثلاث أقسام وقد صنع من الخشب المظفر مع وجود منور علوي للإضاءة بكل من ناحيته الشرقية والغربية[4](أنظر الملحق رقم 04ص103).

[1] – إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص397.

[2] – عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص82.

[3] – نفسه، ص83.

[4] – إبراهيم حركات (المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص398.

II. العمارة العسكرية

1- الأبراج

لقد إعتنى الأشراف بالتحصينات والحصون وإهتموا بتشييد الأبراج وقد عرف المغرب السعدي 14 برجا موزعة بين العرائش وتازة وفاس ومراكش كما إستخدم السعديون التحصينات البرتغالية التي ظلت سليمة في جملتها كالأبراج الموجودة خلف أسوار فاس وبرج تازة وبرجي الشمال (برج النور) والجنوب[1]

فقد بنى المنصور المعقلين الكبيرين الذين أنشئا بفاس أحدهما خارج باب عجيسة والآخر قبالة باب الفتوح ويعرف هذان المعقلان عند العامة بالباستيون وهما من الإتقان بحيث لايعرف قدرهما إلا من وقف عليهما، وكان الشروع في البناء في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 990هـ.[2] وقد كان محمد الشيخ القائم أول من قام ببناء حصون جديدة بين السلاطين السعديين وذلك بتشييده حصن أكادير وبنى المجاهد العياشي برجين على شاطئ سلا لايزالان قائمين، ولقد أعيد بناء الحصون على أساس صلاحيتها لإستخدام المدافع وهكذا بنى المنصور حصن تازا وأبراج فاس بالشمال والجنوب والأبراج الركينة عند أسوار فاس الجديد كما أعيد بناء تحصينات قصبة مراكش بحيث تحتمل أبراجها المدفعية الخفيفة[3]

الأبراج والبستيونات خلف أسوار فاس الجديد:

1- برج تازا(المعروف بالبستيون): يعتبر بستيون تازا وبرجا فاس أهم نماذج الهندسة المعمارية الدفاعية في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي ويتميز بستيون تازة بتصميم

[1]- عبد الحق المريني، المرجع السابق،ص62.

[2]- الإفراني، المصدر السابق، ص245.

[3]- إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص389.

مربع الشكل طول ضلعه ستة وعشرون مترا وعلوه عشرين مترا من الناحية الخارجية للمدينة يشتمل على عدة مستودعات للماء والزاد والأدوات والمعدات الحربية [1]

ويؤدي المدخل بالواجهة الغربية إلى ممر يبلغ طوله خمسة أمتار يصل إلى ساحة مربعة تقريبا وقد بلطت تلك الساحة بالآجر ورفعت فوق مستودع أعظم منه يدعى برج الماء تتجمع فيه مياه الجبال الشاهقة الميطة بتازا وقد ذكر مارسيه أنه لايوجد نص تاريخي ثابت لتأريخ ذلك البرج غير أنه يمكن إرجاعه إلى النصف الثاني من القرن العاشر هجري، أما آثار النقوش المحفورة بالملاط التي تمثل شكل سفن أوروبية مرسومة فوق جدران البرج فإنها ترجع إلى عصر متأخر بينما العمارة ذاتها ترجع إلى عصر المنصور السعدي كموقع دفاعي لمملكته[2]

ويحتوي البرج أساسا على ثلاث عشرة مسلحة موزعة على عدة مستويات بالإضافة إلى قاعة مركزية كبرى وصهاريج ومصطبة مدعمة بغرفتين معدتين للقصف وتتوزع المساحات على الواجهات الثلاث المطلة على البادية ويستجيب كل من موقعها ووجهتها للمستلزمات الدفاعية التي تتطلبها الجهات وبالتالي فإن هذه المنشأة تبدو وكأنها خططت للدفاع عن المدينة أكثر مما أعدت لمراقبتها[3].

2- برجا الشمال والجنوب بفاس: يعرف كل من البرجين كذلك باسم بستيون ولعله إسم أوروبي إيطالي الأصل وقد أسس البرجان المنصور السعدي سنة 1582م. ويهدف تأسيس البرجين إلى حماية مدينة فاس من خطر الهجومات الخارجية ولإضفاء المهابة والجلال كذلك على المدينة التاريخية.[4]

[1]- محمد القبلي، **تاريخ المغرب**، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011، ص385.

[2] - عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص83.

[3] - محمد القبلي، المرجع السابق، ص385.

[4] - شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق، ص193.

ويرتفع البرجان فوق الربوة التي تشرف على الموقع جهة الشمال والجنوب مما اكسب أحدهما برج الشمال (borj nord) الذي تحول عنه العامة بعد تكرار استخدامه بالنطق الفرنسي وقت الحماية إلى إسم برج النور و هو الإسم الذي لا يزال شائعا إلى اليوم [1] وقد شيد أحدهما على المرتفع الواقع بالشمال و الآخر على الموقع المائل بالجنوب الشرقي للمدينة فهما يعلوانها بين فكين إثنين ومع أن هاتين المنشأتين من تأسيس أحمد المنصور إلا أنهما تعرضا لعدد من التعديلات المتتالية التي تركت بهما أثرا واضحا ولو أنها لم تدمر مكوناتهما الأساسية.

فالبرج الشمالي يتكون من نواة مربعة مدعمة بكل من زواياها الأربعة ببستيون ذي شكل مثلث حاد(أنظر الملحق رقم 05 ص 104) أما البرج الجنوبي فيتميز عكس سابقه ببروزات مستطيلة ، ونظرا لكون البرجين[2] خططا لإستقبال المدفعية الثقيلة فإن بناءهما جاء ضخما فريدا في شكله إذ يختلف من حيث الطابع و التصميم عن كل ما عرفته مدينة فاس من منشآت دفاعية في العصور السابقة[3]

[1]- عثمان عثمان إسماعيل ،المرجع السابق،ص60.

[2]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص286.

[3]- نفسه، ص286.

2- القناطر

شيدت القناطر في معظمها على وادي سبو[1] وفروعه، ووادي أم الربيع [2]وفروعه، وذلك لتسهيل تنقلات الجيوش والقوافل والأفراد وهكذا بنى محمد الشيخ المهدي قنطرة على وادي سبو وجسرا عظيما على وادي أم الربيع، وبنت مسعودة بنت احمد الوزكيتي والدة المنصور قنطرة وادي أم الربيع بطريق مراكش، تدعى قنطرة حواتة. كما رممت أخرى بوادي فاس بطريق زواغة[3]وأسهم الدلائيون في بناء القناطر فبنى محمد الحاج الدلائي ثلاثة جسور على وادي أم الربيع وساهم الخواص في هذا العمل أيضا، ومنهم عمر الشاوي أحد الصلحاء وقد بنى قنطرة إبن طاطو خارج فاس.[4]

3- القصبة

قصبة مراكش :عرفت القصبة قبل حدودها الحالية تطورا عظيما فقد بنى المنصور الموحدي مدينة خاصة به و بحاشيته خارج مراكش سماها تمراكشت و موقعها جنوب العاصمة حيث لا تزال أطلالها قائمة وقيل أنها كانت أجمل مدينة عرفها المغرب في تاريخه وكانت تحتوي زيادة على القصر الملكي على حدائق وثكنات للجيش وسائر المرافق وفي القصر نزل أبو العباس أحمد الأعرج سنة 928هـ-1521م و ظل مقرا ملكيا إلى أن بنى المنصور السعدي قصبته الشهيرة وكان موقعه وراء جامع المنصور تحيط به الحدائق و يمتد إلى

[1] - وادي سبو: نهر في شمال المغرب يبلغ طوله 458كلم هو ثاني أطول نهر في البلاد بعد نهر أم الربيع يمر بالقرب من مدينة فاس ويصب في المحيط الأطلسي في مهدية أنظر:بن قايد عمر، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية**(فرنسا وإسبانيا)، مذكرة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2010، ص165.

[2] - وادي أم الربيع: أحد أكبر أنهار المغرب يبلغ طوله حوالي 600كلم ينبع من جبال الأطلس أنظر: نفسه، ص200.

[3] - إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ) ، المرجع السابق، ص390.

[4] - نفسه، ص390.

جدار الملاح [1] حيث عثر هنري كولير على تصميم كامل للقصبة السعدية بالإسكوريال وهو في حالة جديدة إذ يمثل جميع المباني الرئيسية بل وحتى المسافات بينها بالمقياس البرتغالي ،وقد وضع هذا التصميم شاهد عيان برتغالي سنة 933هـ - 1584 م (أنظر الملحق رقم06 ص 105) ويمتد سور القصبة شمالا نحو660م و شرقا إلى 550م و مدخل القصبة الرئيسي هو باب" أكناو" الذي كان يسمى باب السقيف أو باب القصر ويطل على ساحة باب الرب الحالية و يقابله باب الطبول ،ويفصل بين المدخلين زقاق طويل بقي على حاله خلال الحكم السعدي وكان جنوب القصبة بستان المسرة وعلى العموم فإن السعديين لم يسلكوا سياسة الموحدين في تخريب مباني سابقيهم و البناء على أنقاضها بل حافظو على بقايا قصبة مراكش التي رمموها وأضافوا إليها مباني أخرى.

القصبة الوليدية: كانت توجد مكانها قصبة قديمة، حيث ذكر الزياني في الترجمان المعرب أن إبن قنفذ القسنطيني سبق أن زارها سنة 763هـ وكانت فيها بعض من المراكز التي إحتلتها البرتغال فعندما أقصي السلطان زيدان عن مراكش سنة 1022هـ-1613م بسبب ثورة بن أبي محلي التجأ إلى آسفي وحينما كان جيشه يقيم بناحية دكالة إكتشف جندي أندلسي موقع الوليدية و أخبر الفرنسي سان ماندرتي الذي حث زيدان أن يجعل منها ميناء بحريا وأثناء ذلك رغبت شركة فرنسية بباريس في إستغلال المكان بإتفاق مع السلطان ولكن المشروع لم يتم لأن مبعوث الشركة لم يصل إلى المغرب [2]وعن طريق اليهودي بلاش وجه زيدان إلى هولندا طلب دراسة مشروع إنشاء الميناء فجاء الهولندي ألبرت رويل إلى المغرب

[1]- إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص438.

[2]- نفسه، ص439.

وحينئذ بدأ السلطان يستعد بوسائله الخاصة لبناء ميناء فوضع مشروع بناء القصبة أولا ولم ينجز إلا في عهد إبنه الوليد سنة 1044هـ-1634م، أما الميناء فلم ينجز منه شيء يذكر.

وقد كان يسكن بالمنطقة عائلة سوسية من سملالة وبينهم عدد من المثقفين وبخارج القصبة يوجد زاوية عبد السلام الغواص اليمني وكان بكل من الزاوية والقصبة مدرسة ومسجد من أهم مراكز الثقافة بالمغرب.[1]

قصبة تامدارت: لقد سعى السعديون إلى تعزيز التحصينات العسكرية بالقرب من فاس إستعدادا لإقتحامها، فأنشؤوا قصبة تامدارت سنة 956هـ-1549 بالقرب من باب أبي الفتوح، وكانت تأوي حسب بعض المصادر 1200 جندي وقد جاء تشييد هذه القصبة لتعزيز الدور الذي كانت تلعبه قصبة أبي الجنود على الضفة المقابلة والتي يعود بناؤها إلى ما قبل الفترة المرينية[2].

III. العمارة المدنية

1- القصور (قصر البديع)

كان المنصور محبا للعظمة والمظاهر الفخمة فبنى قصر البديع ليخلده ويخلد أسرته وسعى لأن يجعل منه تحفة فنية لا مثيل لها تجمع تقاليد المشرق والمغرب وأوروبا الفنية وقد

[1]- إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص440.

[2]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص 377.

وصف الكتَاب والشعراء المغاربة هذا القصر وقالوا أنه فاق كل ما عداه من أوابد سالفة كأهرام القاهرة وغمدان اليمن وزهراء الأندلس وقباب الشام.[1]

وقيل في مناهل الصفا أن السبب الحاصل للمنصور على بناء البديع و إنفاقه فيه جلائل الأموال ونفائس الذخائر أنه أراد أن تكون لأهل البيت به مأثرة وشفوف على دولة البرابر وغيرهم من المرابطين والموحدين ومن بعدهم من بني مرين فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت.[2]

ففي عام 986هـ شرع المنصور في بناء قصر البديع وإستمر إلى عام 1002هـ وقد جلب المنصور المهندسين والصناع من أوربا ويذكر القشتالي في مناهل الصفا أن سوقا تأسست قرب القصر حين بنائه قصدها التجار ببضاعتهم لكثرة الرخام وقد جاب المنصور الرخام من بلاد الروم، وإستورد كثيرا من مواد البناء من مختلف بلاد السودان، وقد كان قصر البديع وحدة مستقلة وغلب هذا الطابع على القصور المغربية التي تطورت إلى وحدات مستقلة كل قصر يضم ما يحتاجه من مواد مما يجعله قادرا على الإكتفاء مدة طويلة كلما

[1]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 59.

[2]- القشتالي، المصدر السابق، ص267.

داهم المدينة خطرا خارجي،[1] والقصر يقع شرقي القصبة التي كانت ديارا للموحدين وتحيط به حديقة وساحة عظيمة وكانت توجد به المدرسة الملكية.[2]

وقد حرص عدد ممن إهتموا بتصميم القصر من الأجانب على معرفة إسم المهندس المعماري الذي رسم خطوطه الأولى والذي لم يكن غير أمير المؤمنين المنصور الذي كان يسهر بنفسه على تنفيذ تصميمه المستوحى دون شك من بعض القصور الأندلسية ولابد من التذكير بأن قصر البديع هو البناية الخاصة بالعامل أطلق على سائر المجمع الذي يقع بجانب البديع بما في ذلك الدار الكبرى بما تحتويه من قباب ورياض ومرافق، ولعل إسم البديع علاوة على ما يدل عليه من معنى جميل كان تلميحا للإسم الذي تحمله إحدى قباب قصر قرطبة.[3]

ومن المميزات الأولى للقصر السعدي العديد من القباب التي تحمل أسماء جميلة وأوصاف دالة فهنا قبة الخمسينية وقبة الزجاج أو "قبة الذهب" وقبة النصر وقبة التيجان وقبة الخضراء والحمراء والبيضاء والقبة العظمى، كما امتاز بطائفة من الصهاريج المختلفة المقاييس ولا

[1]- حسن السائح، المرجع السابق، ص 310

[2]- إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص 391.

[3]- عبد الهادي التازي، **قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا**، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، 1911، ص4.

ننسى في هذا الصدد الدولاب العظيم الذي كان يساعد على التحكم في المياه صعودا وإنعطافا والذي عرفته جنائن فاس منذ عهد بني مرين.[1]

وقد ضرب الزخرف في البديع في علياء الفنون وطرزت جنباته بأبيات شعرية نقشت بمرمر أسود على أبيض و إحتضن القصر إلى كل هذا عدد من رسوم النبات وعراجين الأعناب وتماثيل الحيوان وهي ظاهرة إستأثر بها التاريخ المعماري في الغرب الإسلامي.[2]

والحديث عن مرافق القصر يكشف عن تفوق البديع على كثير من المعالم الأثرية التي تعرف باسم عجائب الدنيا ويضيف بدائع أخرى و يعتبر الحديث عنها على ذلك العهد من قبيل الخيال والإفتراض ونشير بالخصوص إلى مايمكن أن نسميها بالتدفئة المركزية التي كانت تناسب عبر الأنابيب النحاسية بواسطة المياه المكيفة باردة وساخنة حسب رغبة الحاجة، كما نشير إلى الحمام الرائع الذي أعطى القشتالي وصفا دقيقا له يترجم هو الآخر عن العبقرية التي طبعت الفكر المغربي فلقد قام الحمام على خمسين عمودا وزود بأربعة أبواب فيها ما يفضي لقصر السلطان ، وفيها مايؤدي إلى قبة التيجان وإلى البديع وإلى باب القصر وقد قامت في داخله تماثيل أسود من المرمر يناسبا الماء من أفواهها إلى الحوضين المعدلين للهواء إضافة إلى المسجد العديم النظير .

[1] – الناصري، المصدر السابق، ص 134.

[2] – عبد الهادي التازي(قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا)، المرجع السابق، ص6.

كما تتوفر غرف القصر وخاصة منها غرف الحريم على خزنة طعام متحركة تتجه وحدها بصفة آلية من المطبخ إلى مقام الأميرات مما يشبه المصعد المعروف اليوم في الفنادق الكبرى.[1]

وقد ضم القصر إلى كل هذا دنيا أخرى من السراديب تحت أرضه تحتوي على عدد من المشتملات والبيوت والمخازن والمطابخ والمغاسل تمكن المئات من الخدم والحشم من أداء مهامهم في غيبة من الضيوف والزوار وبدون أن تظهر الإستعدادات الأولى للتحضير فيفاجئ المدعوون بها بما لذ وطاب من مباني القصر السفلي التي كانت تتوفر على الضياء الفائض الشعاع النافذ من خلال الشبابيك الحديدية.[2]

وقد ظل الحديث عن المبنى الخاص لسكن السلطان المنصور في الجانب الشرقي والذي أطلق إسمه البديع على سائر القصور والقاعات الملحقة به ظل عاما يكتفي بأنها "ترجمان العجائب"، لكن الدار الكبرى التي يفضي إليها من قصر البديع نالت الحظ الأوفر من الحديث فقد دارت على خمسمائة عمود من المرمر بينما قامت القباب والبراطيل [3]على مائة منها وتوسطها فناء فسيح الأرجاء يبلغ 135 مترا طولا على 110 عرضا وأربعة آلاف وثمان مائة وخمسين مترا مربعا 14850، وفي هذه الساحة تمتد البركة العظيمة المستطيلة من

[1]- الإفراني، المصدر السابق، ص 180.

[2]- عبد الهادي التازي(قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا)، المرجع السابق، ص 7.

[3]- البراطيل: جمع برطال وهي في الإصطلاح المغربي عبارة عن مصر مقنطر وقد يسعى أيضا النبح أنظر: نفسه، ص11.

90مترا وقد إنتصبت وسطها خسة[1]كبرى من المرمر تحتوي على حوضين إثنين يعلو أحدهما الآخر وتنتهي بأنبوب تتفجر منه المياه، وفي زاوايا تلك الساحة الكبرى توجد أربع برك أخرى مستطيلة من 30مترا على عشرة والبرك كلها يمكن النزول إليها بواسطة درج مزلجة هي الأخرى وبين البرك الأربعة الصغيرة وعلى الطرفين الطويلين للبركة الوسطية الكبرى ترتفع قبتان عظيمتان أحدهما غربية وهي "الخمسينية" وقد امتازت بسقفها البالغ أقصى مبالغ الجفوة وللخمسينية في صدرها ذهب بكل محاسن البناء وبين يدي كل باب فوارة مضخمة متباعدة القطر وفي مقابل الخمسينية تنصب في الجهة الغربية "قبة الزجاج" وهي من مساحة 15م$_2$ على 16م2 240م$_2$.[2] وقد علا سقفها قطع من الزجاج " الكريستال" الملون وقد حملت القبتان على إنتي عشرة سارية من أجود وأروع الرخام وإضافة إلى هاتين القبتين توجد قبتان أخريان إحداهما شمالية هي" قبة النصر" ذات المحاريب والخزائن وقد إمتاز سقفها بأنه صنع من العاج وقد إنتصب أمام القبة فوارة عظيمة ترقص بالمياه المتصاعدة ويقابل قبة النصر على الضفة الجنوبية "قبة التيجان" وحسب ما يقال أن هذه القبة مخصصة للحريم وقد تميزت أركان القصر الأربعة بمنارة تنتصب في كل منها على نحو تصميم برج الفنار.

[1]– خسة: في العامية المغربية حوض من المرمر يتوسطه أنبوب يندفع بالماء يشبه شكله شكل الجص أنظر: نفسه ،ص11.

[2]– عبد الهادي التازي(قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا)، المرجع السابق، ص11.

وإذا كانت عظمة البيوت تتجلى في أبوابها فإن البديع إحتوى على أبواب رئيسية وثانوية سواء في الشرق أو الغرب أو الجنوب(أنظر الملحق رقم07 ص106) لكن أعظمهما كان باب الرخام الذي يقع عند الركن الغربي الجنوبي وقد إجتمعت كلمة زوارة من الدبلوماسيين أو الرسامين أو الأسرى على أنه تحفة العصر وعنوان العظمة ودليل التوازن وهكذا إتفقت الرواية العربية على أنه كان جنة على أرض مراكش[1].

وقد ظل البديع منذ نهاية البناء المركز الأول في الدولة لتنظيم البعثات الدبلوماسية التي رددت صدى القصر من مختلف دول أوربا وآسيا كما كان محفلا يلتقي فيه أعيان الدولة بمناسبة الأيام الإسلامية لكن القصر أمسى إثر وفاة المنصور السعدي وإختلاف كلمة بنيه من بعده هدفا لعدد من أعمال التخريب الناتجة عن الصدام المستمر من أجل الاستيلاء على العاصمة مراكش وعلى مركز الحكم فيها .

ويردد بعض المؤرخين أن السلطان المولى إسماعيل بن الشريف أمر بهدم القصر سنة 1119هـ فتبدلت معالمه ومحيت مراسمه[2] (أنظر الملحق رقم08ص107)

2- المدارس والمكتبات

يظهر أن السعديين لم يكثروا من بناء المدارس لسببين :

[1] - ليقي بروقنسال، **نخبة تاريخية جامعة لأخبار المغرب الاقصى**، مطبوعات لاروز، باريس، 1948، ص90.

[2] -عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص111.

أولا : لوفرة المساجد المرينية التي واصلت مهمتها في هذا العهد مع بعض الفوارق .

ثانيا :لأن عددا كبيرا من الخواص في مراكز كثيرة والقصر الكبير ودكالة أقبلوا على بناء المدارس والزوايا لأغراض تثقيفية لكن مراكش حظيت ببناء المدرسة الملحقة بمسجد علي بن يوسف .[1]

مدرسة إبن يوسف :

تقع بساحة "إبن يوسف" وتحظى المدرسة بأهمية بالغة لإعتبارها النواة الأصلية لمدينة مراكش أعيد بنائها في عهد السطان السعدي عبد الله الغالب 972هـ -1564م على مساحة 1680مترا . وإستغرق بناؤها عامين، وتعد بحق من روائع المدارس المغربية ، وقد كانت المدرسة وعلى مدار أربعة قرون معقلا وقبلة للعلماء بمختلف العلوم خاصة الدينية والفقهية ومقصدا للطلبة الراغبين في المعرفة كما أنها تعكس روعة الفن السعدي[2].

فالمدرسة تقع داخل أسوار مدينة مراكش وسط المدينة القديمة جانب جامع إبن يوسف أكبر مساجدها في ذلك الوقت وتبلغ المساحة 44م2 وسورها سميك60 إلى 140سنتمترا تتخلله نوافذ صغيرة ويفتح الباب الرئيسي على ممشى طويل يؤدي إلى مساحة مربعة وهي قبة من الخشب هرمية الشكل ، ويفتح الباب المزدوج لهذه القاعة على الصحن الرئيسي الذي تبلغ مساحته 20م2 ويتوسطه صهريج واجهة بيت الصلاة على الصحن حفيلة بالزخرفة تبدأ

[1] – إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص392.

[2] – مروة عبد العليم، **مجلة إفريقيا قارتنا**، العدد 12، ابريل، 2014، ص2.

من أسفل[1] يتوسطها باب رئيسي محوري وينتهي طرفاها بباب صغير في كل جهة يؤدي إلى الأروقة الجانبية ويوجد بالركن الشمالي للصحن بيت النظافة ، وبالطابق السفلي أبواب بيوت الطلبة ، وبيت النظافة مربع تغطيه قبة جصية تشبه نظيرتها بالباب الخارجي هندسة وزخرفة وتتوسطها نافورة تحيط بها أعمدة رخامية وهي تتوفر على تسعة بيوت صغيرة للماء والطهارة،(أنظر الملحق رقم09 ص108) وتعتبر هذه المدرسة السعدية من أكبر مدارس المغرب ولازالت تحتفظ بإسم الأمير المرابطي علي بن يوسف مؤسس الجامع المجاور.[2]

ومن مدارس مراكش : المدرسة الملكية بالقصبة والمدرسة الملحقة بجامع باب دكالة وأخرى بحومة إبن صالح وفي تارودانت المدرسة الملحقة بالجامع الاعظم.

أما المدارس الخاصة فتمتاز ببساطتها وعدم تأثرها بغير الطابع المحلي، وقد شيدت أساسا للدراسة على عكس مدارس الدولة التي تخصص لسكن الطلبة أيضا ومن المدارس الخاصة بسوس:

1- مدرسة آقا، وقد أسست قبل السعديين لكنها نشطت أيامهم.

2- مدرسة الحسن بن عثمان التاملي بتيوت "تارودانت".

[1]- عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص100.

[2] - نفسه، ص100.

3- مدرسة بعقيلة، من أبناء آل عمرو.[1]

ومن الشروط التي تتوفر في طالب المدرسة كما أثبت الونشريسي في المعيار أنه لايسكن بالمدرسة إلا من بلغ عشرين سنة على الأقل وأن يشتغل بالدراسة والتدريس ودروس القرآن ، وكل طالب لم يظهر نبوغه العلمي بعد مقامه عشر سنوات يطرد حتى لايضر بقاؤه في المدرسة بالوقف المخصص للطلبة.

وعلى العموم فإن المنصور السعدي قد جدد المدارس القديمة والحديثة وأنشأ العديد من المدارس في ذلك العصر وقد أكد المؤرخون كالقشتالي واليفراني وغيرهم من المعاصرين للسعديين أن المدارس القديمة والحديثة قد تفوقت في هذا العصر تفوقا ظاهرا وبدأ التفوق في الطب والهندسة والكيمياء والصناعات الحربية وفي العلوم الشرعية وغيرها من العلوم الأخرى[2].

الخزائن:

أسس المنصور الذهبي خزانة عظيمة سميت بالخزانة المنصورية، وقد جمعت كتبها من مختلف الأقطار حيث كان سفراؤه يحملون إليه من البلاد النائية مختلف الكتب وضمت إلى خزانة القرويين بعد وفاته ، كما إشتهرت خزانة الدلائيين بنفائسها وخزانة تمكروت وزارية العياشي بذخائر الكتب النفسية.[3]

[1] - إبراهيم حركات(المغرب عبر التاريخ)، المرجع السابق، ص393.
[2] - عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص293.
[3] - حسن السائح، المرجع السابق، ص312.

خزانة السعديين بالقرووبين: وكان من أهم معالم العمارة المدنية بناء خزانة السعديين العلمية بجامع القرويين 1010هـ في مستهل القرن الحادي عشر وهي المعروفة بالخزانة العليا وقد أسست تلك الخزانة العلمية في جهة القبلة على يسارخزانة المصاحف وقد عرفت خزانة السعديين في الحوالة الإسماعيلية بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة إلى أحمد المنصور كما عرفت بالخزانة السعدية عند بعض المؤرخين وهي ما أسماه المقري بالخزانة العليا.

والخزانة المذكورة عبارة عن قاعة" قبة" مربعة التخطيط طول ضلعها خمسة أمتار ونصف متر بإرتفاع ستة أمتار يغطيها هيكل هرمي من الخشب غطى خارجه كما هي العادة بالقرمود بينما زخرفت في الداخل بالجص المزخرف والخشب المنحوت والنقوش الدعائية.[1]

الفهارس والمكتبات:

من أهمها: فهرس يحي السراج الحافظ المفسر ولد سنة1007هـ ومحمد المرابط العالم الفقيه توفي سنة 1008هـ له كتاب في النحو، ومحمد بن أبي القاسم إبن القاضي فقيه رحالة فلكي، وفهرستا المنجور المتوفي سنة 995هـ، وفهرست العميري.[2]

وعلى العموم فقد تميز الفن المعماري السعدي بمزايا خاصة ويتجلى هذا المعمار في أشكال البناء وهندسته والمواد المستعملة في النقوش والتزيين وتعتبر المساجد إحدى دعائم هذا الفن وكما يظهر أيضا في القصور(قصر البديع) وهو شاهد على مدى أصالة وجمالية هذا الفن.

[1] – عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ص102.

[2] – حسن السائح، المرجع السابق، ص312.

الفصل الثالث

المبحث الاول: الهجرات الاندلسية

المبحث الثاني : التاثير العلمي

المبحث الثالث : التاثير العمراني

إستفاد المغرب من الأندلسيين بعد هجرتهم إليها في التقدم العلمي والثقافي والفني للأندلسيين [الموريسكيين] وتأثروا كثيرا بما كانوا يحملون معهم من معرفة في ميادين شتى لازالت معالمها واضحة إلى عصرنا هذا،ويتجلى من هذا أن الإشعاع الحضاري والإرث الثقافي الأندلسي، وصل إلى القرن العشرين وسيتواصل على إمتداد القرون المقبلة بالطريقين الأوروبي والمغربي، وقد إحتفظ المغرب بالقسط الوافر من هذا الإرث.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حنين المسلمين بصفة عامة والمغاربة منهم بصفة خاصة الى الفردوس المفقود (الأندلس)، كيف لا والأمة الإسلامية أضحت بذهاب الأندلس مقصوصة الجناحين لاتقوى على التحليق في أجواء التقدم والرقى.

لقد طبع الموريسكوس المغرب ببصمات واضحة في جل ميادين الحياة وكانوا بمثابة صلة وصل بين الثقافتين الإسلامية والنصرانية، لكون أغلبهم كان يتقن اللغتين العربية والإسبانية وساهموا بحظ وافر في الترجمة بين اللغتين، بل حتى من العربية إلى البرتغالية.

I. هجرات الاندلسية

1- من هم الموريسكيون؟

إختلف المؤرخون في تحديد مصطلح الموريسكيين وتحديد معناه، فالكثير منهم يرى أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي،مشتق من كلمة موريmauri وتطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء وهي مشتقة من كلمة amaurus ومنها إشتقت كلمة مور Moro ويقصد به شديد السمرة.

ويرجع أصل الكلمة إلى العصر الروماني وهي مشتقة من ماوري mauri وتعني الداخلين تحت سلطات مسيحي، ومنها جاءت موريطانيا وتطورت كلمة موري إلى مورو الاسبانية وأصبحت تعني عربي مسلم مضيفا كلمة vasallos moros ومعناها العرب التابعون[1].

أما من حيث المعنى فنجد أن الموريسكين هم بقايا شتات لثمانية قرون من الإندماج الكلي، فهم حصيلة عصور طويلة أوجدتهم هناك، فأصبح شعورهم اتجاه الأرض أكثر من شعورهم بأي إنتماء آخر، ومحاولة ابعادهم ببساطة هي محاولة اجتثاث جذورهم من تربة واقع أوجد هم.

أو هم المسلمون الذين أضهروا النصرانية وأبطنوا الاسلام فأطلق عليهم المسلمون الصغار وقد كون الموريسكونمجتمعا متماسكا، متضامنا قويا بنشاطه وأدبه وذكائه فبلغ عددهم في أواخر القرن السادس عشر وفقا سفير البندقية زهاء ستمائة ألف نفس، وقدر البعض الاخر عددهم بأربعمائة ألف نفس[2].

ويقول الدكتور حسن السائح أن الموريسكي عموما هو المسلم الذي بقي في إسبانيا بعد سقوط غرناطة وحافظ على إسلامه سواء أما المؤرخون العرب فكانوا يسمونهم بالمهاجرين الأندليسيين،

---

[1] – جمال يحياوي، **سقوط غرناطةومأساة الأندلس(1492–1610م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 42-43.

[2] – ندوة الثانية ، **المورسكيون في المغرب**، مجموعات أكاديمية المملكة المغربية ، مطبعة المعارف الجديدة، رباط،2001،ص75.

وأحيانا يلقبون بالغرباء، أما المسيحيون فكانوا يلقبنهم " بالمورسيكوس" وأحيانا "بالمدحنين" وهم الذين كانوا موزعين في إسبانيا قبل سقوط غرناطة وضواحيها.

وكلمة " الموريسكوس" mariscos تصغير الكلمة moros وهو لقب يطلق على جميع المسلمين الذين كانوا يحكمون الأندلس ثم غلبوا على أمرهم فصغر اسمهم تهوينا لهم[1].

وإذا أتينا لإعطاء تعريف إجرائي للموريسكيين، نستطيع القول أنهم المسلمين المنتصرين الذين بقوا فيإسبانيا بعد سقوط غرناطة 1492م وتعرضوا لكل أنواع العذاب والحقد الصليبي فواجهوا سياسة محاكم التفتيش واضطروا إلى أن يظهروا النصرانية مع المحافظة على إيمانهم، ونقاوة سريرتهم إلى إن طردوا إلى خارج ديارهم 1616م.

و يقول الدكتور حسن السائح أيضا أن أصل كلمة يرجع إلى اللغة البربرية أمور، وتعني المغرب، ودخلت اللغة اللاتينية فأصبحت كلمة Mauri-Maurus وتعني سكان المغرب، حيث كان جنوب المغرب يسمى بموريتانيا ومنذ القديم أطلق سكان [ليبريا] وكلمة [موريطانيا – تنزانيا] على المغرب العربي ثم أصبح الوافدون عليهم من هؤلاء يسمون [بالمورس] مختصرا عن موريطانيا، وأخيرا أطلقوا هذا الاسم على كل عربي ومسلم، لأن المغرب باب الوافدين على إسبانيا، ولهذا فتترجم إلى عارب أو متعرب .... أما كلمة [الموريسكوس] فتعني المسلمين والعرب الذين ظلوا منتشرين في إسبانيا والبرتغال قبل سقوط غرناطة[2]

2- موقف بلاد المغرب من الهجرة الموريسكيين:

إن الوضع المتردي وإنتشار الفوضى والغزو والاختناق، أفقد الأسرة الوطاسية كل احترام بسبب عجزها على تغيير الأوضاع ومهادنتها للعدو، هذا فتح المجال أمام السعديين الذين فتحوا الباب عن مصراعيه للموريسكيين المهاجرين من أرضيتهم وقدموا لهم كل المساعدات، سواء على صعيد

[1]- حسن سائح، المرجع السابق، ص325.

[2] - نفسه،ص326.[2]

العمليات الجهادية أو على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي بل تعدى ووصل الأمر إلى أن قدموا المساعدات للموريسكيين بإسبانيا نفسها.

أما بالنسبة للمغرب الأوسط أو الجزائر حاليا كانت هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي مدت يدها بالإعانة الفعالة الثائري الأندلس، من رجال وأسلحة وعتاد خاصة في عهد البايلرباي علج علي الذي أتيحت له فرصة إدارة إيلات بلاد المغرب العربي و الذي قدم مساعدات كثيرة موريسكيي إسبانيا حيث أرسل أسطولا لتأييد الثائرين عام 1569م، ولم يكن الأسطول الجزائري يذهب لاسبانيا لمجرد التنكيل بالإسبان وتحطيم منشأتهم وأخذ الغنائم والأسلاب والأسرى فقط، بل ينقذ ما إستطاع من الموريسكيين الذين يعانون الأمرين في إسبانيا [1].

وبعد فشل ثورة غرناطة عام 1570م حاول الجزائريون، انقاد الموريسكيين بمساعدة موريسكي الداخل والأسطول الفرنسي، إذ توصل رضوان باشا الذي كان على رأس الدولة الجزائرية آنذاك إلى اتفاق معهم لكن اكتشف هذا الترتيب من طرف هنري الثالث ملك اسبانيا الذي لم يتأخر وأعلن طرد كل الموريسكين في 1609م[2]، وبقيت الهجرة متواصلة بفضل تشجيع حكام الجزائر على ذلك، فالداي عثمان شجع على انتهاج سياسة الهجرة، فكان المهاجرون يتدفقون عليها.

أما في المغرب الأدنى، فقد إستغل الملوك الحفصيون هذا الظرف وشجعوا الهجرة الأندلسية، ومن حكام الذين شجعوا الموريسكين، على الاستقرار بتونس زكريا الحفصي وسار على منواله المستنصر ثاني ملوك الحفصيين الذي لقب نفسه [الخليفة] واعتبر تونس وارثة للحضارة الإسلامية بعد سقوط بغداد على يد المغول، وقد خص المستنصر الموريسكيين بمكانة خاصة حتى أنه اتخذ منهم جندا إستعان بهم في حربه ضد النصاري في محاولتهم إحتلال قرطاجة.

---

[1]- محمد رزوق، **الاندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16.17**،ط3، إفريقيا الشرق،بالرباط،1987، ص 163.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج4،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 189.

3- مراكز استقرارهم

إذا [الأندليسيون] يهاجرون الى المغرب لنشر العلم وطلبه ويقيمون في مختلف البلاد والقرى فقد كانت أعظم جالية من [الموريسكوس] يقيمون في تطوان والرباط وآسفي ومكناس ومراكش.

أ- تطوان :

أستقر عدد كبير من الموريسكيين الغرناطيين وسكن معهم أناس من فاس فتصاهرت الأسر وإختلطت، وتم تقليد العادات الغرناطية في طريقة العيش ونمط الحياة واللباس والمأكل وطريقة التحدث والكلام تطبع الجميع بالصبغة التطوانية الخاصة، حتى أصبح من الصعب التمييز بدقة بين من هو غرناطي ومن هو فاسي، إنصهر الكل في بوتقة واحدة وهي المدينة الأكثر تمثلا للطابع الأندلسي الكبير وهي أيضا الإقليم الأقرب إلى إسبانيا والمثابة في الكثير من المجالات المعيشية ومن ناحية السلالة، فقد تم بهاإنشاء حيين سكنيين [العيون والترانكات] لإقامة المهاجرين نتيجة طرد عام 1609م، وفي ثلاثين عاما أنشأوا خمسة مساجد تحت إدارة شخصية أندلسية مهمة هي المعلم الجواعيدي وإليه ينسب أيضا إنشاءالمئذنةالهيفاء لجامع العيون، ولم يقتصر أثر الفن الاسباني الموريسكي على المدن الساحلية بل وصل حتى مدينة العيون[1](أنظر ملحق رقم 11).

ب- شفشاون:

إستقرت بمدينة شفشاون جالية أندلسية مهمة، اتخذت حي ريف الأندلس شمال المدينة كمقر لها ويبدو التأثير الأندلسي واضحا جدا، بالمدينة سواء فيما يتعلق بشكل بناء السقوف بالقرميد الأخضر، أو في طريقة من المنازل بالقنوات، أو العناية بالزهور داخل المنازل، وكذا في صحون المساجد بالمدينة.

[1] محمد رزوق،المرجع السابق ، ص ص 321 ،323.

ت- آسفي:

آسفي كغيرها من مدن المغرب بإستقرار جالية أندلسية بها، ومن بين البيوت الأندلسية بها[1](لاحظ الملحق رقم 12).

ث- مكناس:

عرفت مكناس أيضا استقرارا من أفراد الجالية الأندلسية بها، التي شهادتها مكناس ماهي إلا تقليد للعمارة الأندلسية، وقد برز في الميدان العلمي عدة عائلات أندلسية بالمدينة، نذكر من بينها على الخصوص

- عائلة الوقاد هاجرت من اشبيلية بعد سقوطها وفي منتصف القرن الثالث عشر ميلادي، واستقرت بفاس أولا ، ثم انتقل بعض أفرادها إلى مكناس، البيوت الأندلسية (أنظر الملحق رقم 13ص).

ج- مراكش:

أول جالية أندلسية مهمة استقرت بمراكش في العهد السعدي هي الجالية التي أمر السلطان عبد الغالب باستقرارها في حي رياض الزيتون، وقد استمر بعد ذلك توافد المورسكيين على المدينة، خاصة بعد صدور قرار طرد المورسكيين من اسبانيا، إلى أن أصبحت معها اللغة الاسبانية بمراكش تداني اللغة العربية في انتشارها.

وعلى العموم فان الوجود الأندلسي بالمدينة ظل بارزا وخاصة في الميدان العلمي سجل بروز عدد من أفراد الجالية بالمدينة، نذكر من بينهم على الخصوص :

-علي بن إبراهيم الأندلسي " حوالي 1065هـ/1655"

[1] محمد رزوق ،(الأندلسيون وهجراتهم) ، المرجع السابق ، ص324 ، 325.

-احمد بن قاسم الحجري " بعد 1051هـ/1641"استقر بمراكش منذ أواخر عهد المنصور 1599. إذ يقول في هذا الصدر "..... ورأينا العافية والرخاء في تلك البلاد إلى إن مات مولاي احمد رحمه الله"[1]

II. تأثير العلمي:

من المتعارف عليه إن التعليم هو أساس المعرفة في الحياة و أسرارها ، فهو مفتاح أبواب المعرفة، ويعتبر مقياسا للأمم المتحضرة ،كما أن له أهمية كبيرة وانعكاسات سلبية وايجابية على كل المجتمعات وللتعليم مراحل من بينها:

1- التعليم الأولي:

يبدأ العليم الأولي عندما يبلغ الطفل سن الخامسة والسادسة،وينتهي عند سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر تقريبا،وقد كان مذهب أو منهج أهل المغرب يقتصر على تعليم القرآن ومسائله مع حرصهم على عدم خلطه مع سواه من حديث و لا من شعر و لا من كلام العرب،إلى أن يحذق الولد فيه أو ينقطع عنه وهنا يتبين لنا عناية المغاربة، بالقرآن واستظهاره و الوقوف على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى[2].

أما أهل الأندلس فمنهجهم في تعليم القرآن و الكتاب من حيث .أي القرآن.لأنه منبع الدين والعلوم جعلوه أصلا وأساسا لتعليم،ويخلطون في تعليمهم لولدانهم رواية الشعر في الغالب و الترسل وكذا أخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد والخط والكتاب بل إن عنايتهم بالخط أكثر من جميعها ، فأفادهم هذا في التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل وممارسة العربية من أول العمر،وهذا ساعدهم في الحصول على ملكه صاروا بهذا أعرف في اللسان العربي ،كما كانوا أهل خط وأدب.

[1] – حسن السائح، المرجع السابق ،ص328.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ،**مقدمة** ،ط1، دار ابن الجوزي ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ،2010م،ص490.

أما منهج المغرب فكانوا يخلطون في تعليم ولدانهم القرآن بالحديث،ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض المسائل فمنهجهم المتبع في تعليم القرآن يشبه منهج أهل الأندلس.

وهنا نستطيع القول أن أهل المغرب في اقتصارهم على تعليم القرآن أحدث لهم قصور في ملكة اللسان،وذلك لان البشر عاجزين عن الإتيان بمثله،فالقرآن ليس كالشعر أو الأدب أو التاريخ،وهنا يكون حظهم الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام[1].

2- التعليم العالي:

التعليم العالي أو المرحلة العالية لم تعرف برامج محددة أو إجبارية تقيد الطالب،حيث كانت في مجموعها دينية ، تشتمل التفسير و الحديث و التوحيد والفقه،كما كان يضاف لهذه المواد كالنحو و البلاغة والعروض والمنطق،ومبادئ الرياضيات،والفلك وذلك لاستعمالهما في التوقيت وتقسيم المواريث،كما يضاف تدريس التاريخ الإسلامي والجغرافية و شيئا من الكيمياء.
وقد كان الأساتذة يصغون مناهجهم التعليمية من المتون التي يختارونها من كتب المؤلفين المشهود لهم بالعلم والمعرفة،وكانوا متن المتون المذهب المالكي ، فهو المحور الرئيسي للتربية الإسلامية في المغرب.

ويرى إبن خلدون في مقدمته أن كثرة التأليف و إختلاف الاصطلاحات أضر بتحصيل العلم فالطالب لا يستطيع الإلمام بمختلف العلوم بشعبتها وذلك لصغر سنه،فلو إقتصر المعلمون على مسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك وكان التعليم سهلا و مأخذه قريب وقد إعتمد المغاربة في طرق التدريس أولادهم في هذه المرحلة عن طريقة لإقراء أو السماع أو السؤال والمناقشة وهي كما يلي[2]:

[1] محمد رزوق ،**دراسات في تاريخ المغرب** ،ط1، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،1987،ص36.
[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق،ص485،486.

أ- **طريقة الإقراء:**

فيها يبدأ الطالب بقراءة أحد المتون وعلى المدرس أن يوقفه من حين لأخر لكي يشرح للطالب فقرة أو جملة أو ربما حتى كلمة ،هذا في حين شعر المعلم أن الطلاب لديهم قصور على الفهم وقد يطول الشرح أو يقصر.

ب- طريقة السماع:

كانت الرواية لها دور أساسي في التعليم فنجد إن الإسناد من لوازم الرواية وحفظا لها فهو التحري في نسبة الأقوال إلى أصحابها والوقوف على دقتها وصحتها ،وهنا يتوجب على الطالب عند سماعه شيئا من أستاذ من الأساتذة بدون ذلك ثم يسجل اسم أستاذه واسمه،وتاريخ ذلك ويسمى ما كتبه (سماعا)كما يستطيع الطالب إن يكتب ما سمعه بالتصرف فيه لكنه من المستحب إن يكتب كل شيء سمعه كما هو ذلك لصيانة العلم وآفات الذاكرة [1].

3- العلوم التي برع فيها الموريسكيون.

1- العلوم النقلية:

أ- العلوم الدينية:

برع الأندلسيون في ميدان العلوم الشرعية كالفقه والحديث و التفسير و غيرها، وذلك لأنهم كانوا دائما يربطون ضياع الأندلس بضياع هذه العلوم،فكانوا شديدي المحافظة عليها،كما أراد الموريسكيين إن يظهروا في المغرب بمظهر الصلاح بعد ذيوع فكرة أنهم فقدوا الأندلس بسبب جهلهم تطبيق هذه العلوم ومن بين العلوم الدينية ما يلي[2]:

[1] محمد رزوق،**دراسات في تاريخ المغرب** ،ط1، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء،1987م،ص26.

[2] نفسه، ص40.

- **علوم التفسير:**

التفسير لغة هو من فسر والتفسير الكشف والإبانة.

والمقصود هنا هو تفسير القرآن الكريم وهو أهم العلوم الشرعية،وشرح وكشف معاني الآيات التي أرسل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من اجلها قوله تعالى:" **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ**"[1] .

- **علوم الحديث:**

يعتبر الحديث المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم وهو أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا أفعاله.وهو سلسلة الرواة التي نقل عنهم الحديث و المتن ومن علماء الأندلس الذين برعوا في هذا العلم.محمد بن قاسم القصار(توفي سنة 1012 هـ-1604 م)اشتهر بدقة التفكير و التعميق في البحث وهو حامل لواء الشريعة وإمام وتميز بالحديث و التفسير.[2]

- **علوم الفقه:** والفقه لغة هو العلم بالشيء و الفهم له.

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب و الحظر و الكراهية والإباحة،وهو معرفة النفس ما لها وما عليها .وبعد انتشار المذهب المالكي في الأندلس و أصبح المذهب الرسمي للدولة.

برع علماء الأندلس في علم الفقه ومن الفقهاء الذين أنجبتهم الأندلس و من بينهم :

-احمد بن محمد الدقون (ت912هـ-1515م)درس أول الأمر في غرناطة قبل سقوطها وقد أخذ عنه طلبة فاس الفقه وله كتاب بداية التعريف في الشرح الشواهد الشريف[3]

[1] سورة النحل، الآية 44.

[2] محمد رزوق:، هجرات الأندلسية ،المرجع السابق،ص309.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون،المصدر السابق ، ص378.

– محمد بن أحمد الجنان المدجن الغرناطي الأندلسي (ت1050هـ) إمام مسجد الشرفاء بفاس "صاحب الحواشي المشهورة بأيدي الطلبة" اشتغل بعده علوم منها الفقه،خاصة مختصر خليل و برع في النحو و الفرائض و الحساب .[1]

- **علوم القراءات:**

القرآن هو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم.وبعد تواتره ونقله ظهرت فيه سبع طرق وقراءات مختلفة،نسبت إلى من اشتهر بها ونذكر منهم:

نافع من الأهل،وابن كثير من مكة،وابن عامر من الشام،وأبو عمر من البصرة،وحمزة و الكسائي من الكوفة ، وقد أضيفت لهذه القراءات منسوبة لكل من حفص وأبي جعفر ويعقوب.[2]

وهذه بعض العلوم الدينية التي برع فيها الموريسكيون إضافة إلى العلوم الأخرى من علوم القرآن ورسم المصحف الشريف،و تفسير الرؤيا وغيرها،ومن الموريسكييون الذين برعوا في علم القراءات نذكر:

– محمد بن علي العدي (ت975هـ/1575م):ولد بغرناطة قبل إن يستولي عليها الاسبان باثنتي عشر سنة وفيها بدأ بعمله قبل إن ينتقل مع أهله إلى فاس،كان العدي مضرب المثل في حفظ القراءات السبع،والمنظومات المتعلقة بعلوم القرآن،مع الضبط والإتقان وجودة الخط.[3]

ب – علوم اللغة:

شهدت هذه العلوم إقبالا واسعا سيما في الأوساط البربرية على الرغم من أن طرق التعليم وأدواته لم تتقدم عما كانت عليه من قبل ،فقد ظلت الألفية و الاجرمية بمختلف شروحها تتصدران بل تستبدان وحدهما تقريبا بعناية الطلاب و الأساتذة ،وفي الواقع طغت المنظومات والشروح في سائر

[1] محمد رزوق، هجرات الأندلسية ، المرجع السابق،ص309.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق،ص370.

[3] محمد رزوق،(هجرات الاندلسية) ، المرجع السابق،ص309.

المواد بشكل لم يتقدم له نظير،أما محاولة تقرير كتب معينة للدراسة و مراجعة النظر في شروحالألفية التي أمربها أحمد المنصور.

وعلى العموم فإن الذين تخصصوا في النحو و اللغة وحدها قليلون بالقياس إلى ذوي التخصص المزدوج والتعدد، ومن أشهر النحاة واللغويين:

-محمد بن الحسن بن عضون قاضي شفشاون وصاحب الوثائق المشهورة،ومن أهم كتب اللغة و النحو:

-حديقة الأزهار في شرح ماهية الشعوب والعقار لأبي القاسم الغساني،رئيس الأطباء في عهد المنصور، وقد وضع ملخصا له بعنوان:كشف الرموز،وهو يتناول المفردات الطبية وشرحها،وبذلك يكون كتاب لغة وطب معا.

أما المعاجم فمساهمة المغاربة فيها ضعيفة لان مصادر الفصحى سواء المباشرة منها أو غير المباشرة هي بالبلاد العربية الشرقية.[1]

2- العلوم العقلية

أ- العلوم التجريبية :

نعني بالعلوم التجريبية و البحثية مثل الطب و الصيدلية و الرياضيات و غيرها من العلوم المجردة التي حملها الموريسكيون إلى المغرب الأقصى و من هذه العلوم ما يلي :

- **طب و الصيدلة** : احتكره الأندلسيون ميدان الطب و الصيدلة خاصة في المغرب الأقصى فالسعديون قربوا الموريسكيون و اتخذوا منهم أطبة القصر الخاص و اغدوا عليهم من الصلات و المكافاءات مما شجعهم على النشاط في علاج المرضى و صنع أدوية و تأليف الكتب و من هؤلاء نذكر :

[1] حسن السائح،مرجع السابق،ص340.

- علي إبراهيم الأندلسي و هو رئيس الأطبة و الذي كتب عدة مواضيع شعرية عن عدة فواكه و طبيعتها و علاقتها بالطب العيون و عن نباتات طبية و فوائدها في علاقات الجنسية و توفي بمراكش سنة 1613 م[1].
- أبو قاسم الوزير الغساني (109هـ/1610 م) ، برع في علم الطب الذي أخذه عن أبيه كما شارك في سائر العلوم الأخرى التي أخذها عن أساتذته الإمام المنجور و قاضي الحميدي و أبي مجبر و غيرهم و من مؤلفاته نذكر :
  - حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب و العقار .
  - مختصر حديقة الأزهار"اقتصر فيه على ما يحتاجه الطلبة ".
  - تفسير بعض الأعشاب و العقاقير مقتطفة من كتاب ريحانة الجيوب في العقاقير و العشوب و هو معجم طبي الثالث على حروف معجم أيضا.

ب- العلوم البحثية :

لقد برع الأندلسيون في علم الرياضيات و الهندسة و الفلك حتى أنهم أساتذتها و من بينهم نذكر :

- شرح احمد ابن معيوم الأندلسي في كتاب السيارة في تعديل السيارة(لابن البناء المراكشي)
- شهور العرب، لنفس المؤلف، و هي رسالة مختصرة في بيان دخول الشهور العربية بالحساب[2].

بعد سقوط غرناطة عام 1492م لم يتوقف الإسبان عند إسترداد الأندلس ، بل قام بقتل المسلمين الأندلس و تهجيرهم و إستولى الإسبان على جميع مخلفاتهم .

[1] محمد قشتيليو، **حياة المورسكوس الأخيرة بإسبانيا و دورهم خارجها** ، ط1، مطابع الشويخ ، تطوان ،2001،ص45.
[2] محمد رزوق ، المرجع السابق،ص277.

و عند لجوء الموريسكيون للبلاد العربية الإسلامية لم تسلم هي الأخرى من الأطماع الإستعمارية البرتغالية و الإسبانية ، ومن المعلوم أن المغرب الأقصى في هذه الفترة كان تحت الحكم الوطاسيين الذين لم يشاركوا بنصيب يذكر في العمران و البناء عدا المنشآت التي بنيت على يد أمراء مستقليين أو ما ترك البرتغال من آثار أو ما جدده الموريسكيون "كمدينة تطوان الجديدة".

III. تأثير العمراني

أ- الدور و القصور

- الدور

السكن:في اللغة من سكن سكنا وسكونا وسكن البيت و الدار أي أقام فيها وتوطن فهو ساكن وجمعها سكان وساكنون والسكن أيضا أهل الدار،والسكن هو ماسكن إليه وتطمئن من أهل وغيرهم ومنه المنزل،المسكن هو المنزل.

الدار: هو المحل الذي يجمع البناء و العرضة أو الموضع يحل به القوم أما المنزل المسكن فهو المحلة سكنها القبيلة،والنزل يعني أو ما يهيئ لإستقبال الضيف التنزيل من إطعام وغيرها من أسباب الضيافة و تأتي كلمة منزل يعني موضع النزول أما المنازل فتعني الدرجات وموضع النزول أيضا.

لمأوى:فهو المكان الذي تأوي إليه ليلا،وأراد بمعنى ضمة إليه وإسكنه في مأواه،أما البيت فنقصه الباب المأوى و جمعها بيوت وهو أخص بالمسكن.[1]

ذكرنا هذه المصطلحات لأن كلمة سكن وردت في العديد من السور القرآنية فقد وجدت في 22آية بصيغ مختلفة منها سكن،سكنهم لتسكنوا،مساكن مسكونة ومن ذلك **قوله تعالى: " وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ "**[2]، وكذا قوله سبحانه و تعالى في آية أخرى"

[1] إبراهيم حركات، المرجع السابق،ص249.

[2] سورة الأعراف، الآية 161.

فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا "[1]، وكذالك وردت في الحديث النبوي الشريف إشارات عديدة إلى السكن و المساكن .

هذا وقد ضبطنا بعض المصطلحات المهمة التي نرد كثيرا في الجانب العمراني ،أما إذا أتينا إلى محاولة إلقاء، نظرة على تأثير الموريسكيين في بلاد المغرب في الجانب العمراني نجد أن أثرهم كان قويا في البناء و الفنون وما كان شاهدا حيا على ذلك هو الأبواب المنقوشة في دور سلا و الرباط،وهي في الغالب على شكل عقود أو أقواس تمثل الفن الأندلسي في عصر النهضة[2].يقول الدكتور محمد رزوق إن مارمول لاحظ أن أجمل الدور التي بنيت بالمغرب هي الدور التي بناها الأندلسيين ويرجع ذلك لإثرائهم فقد جلبوا معهم لنزوتهم فقد جلبوا معهم ثرواتهم من اسبانيا كما سجل أحمد بن المهدي الغزال أثناء رحلته وسفارته إلى الأندلس إن غرناطة من المدن العظمى إذ حلبتها مخالفة لحلبة غيرها في بنيان الديار أو الشوارع فبنيانها بقى على الحالة الإسلامية ولم يطرأ عنه تغيير كما حدث لغيرها من المدن حيث قال:"...فهي أقرب شبها بفاس في بنيانها وجريان الأدوية بجدرانها ثم القناطر المضروبة عليها وما إشتملت عليه من الديار و الحصص و الزليج و الدرابيز من اللوح المستدير لمساحات الطبقة الثانية المشرفة على صحن الدار و البيوت والغرف والأبواب والكل مشاكل الفاس..."[3].

وقد أشار محمد بن عبد السلام السائح الأندلسي بقوله "براعة الأندلسيين في العمارة ومهارتهم في النحت و النقش و التمنيق و الزخرفة بالذهب والأصباغ مما لا يمتدي فيه ولا يماري فها يشاهد من فنون الرخام والجبس وأنواع التحسين..."فظهر تأثير الموريسكيون في المدارس المنتشرة في البلاد المغرب وحتى القبور السعديين بمراكش فصناعة الزليج الذي به الحيطان والسعات وعمل الجيش الذي يحمل به الحنايا كله من الصنائع الأندلسية التي مازالت لحد الآن مجال خصب للتنافس.

[1] سورة القصص: الآية 58.

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق،ص435.

[3] محمد زروق،(الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب)، المرجع السابق ، ص298.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن التأثير الموريسكي لا يظهر في البناء والعمارة فقط بل حتى في الفن كالتطريز التقليدي الذي لا تزال بقايا في الرباط وسلا و تطوان و غيرها[2].

ب- القصور

ذكرت القصور في الكثير من الكتب منها: كتب الزهد وبدء الخلق والوصايا، والملاحم والأدب والإمارة والحصاد والفضائل الصحابة والصلاة وباختيار الأهمية التي أخذها العمران في خطط الخلفاء والأمراء أراد المنصور الذي سطع نجمه بعد معركة الملوك الثلاث 1578م حيث أن المعركة حصلت مصادفة عجيبة بموت الملوك الثلاث عبد المالك المتوكل وسبينان. أي رجل المجاهد ورجل خائن ورجل كافر وجل حاقد وبذلك خلا الجو لأحمد المنصور الذهبي فنصب ملكا على المغرب، فأرادا أن يكون لأهل البيت مآثر على غرار ما كان الدولة المرابطيين والموحديين ومن بعدهم، فكلهم خلفوا بناءات يحيا بهم ذكرهم والسعديين كما يرى أنهم أحق الناس بالمجد فتصدى لبناء قصر البديع بحفرة مراكش وذلك من أجل تشريف أهل البيت فشرع في تأسيسه في شوال الخامس الأشهر من خلافته سنة ست وثمانية وتسعمائة، وانتهى إنجازه في سنة986-1002هـ/ 1578-1594م[1]، فدام بذلك 16 سنة دون توقف تجلى الأثر الموريسكي الأندلسي في بناء القصر الذي كان بارزا للعيان كما لوحظ عليه تأثير جزئي لبعض فنون الشرق في إشكال الدوريف الصينية بما في ذلك الأوراق الطويلة والمتسة والقرنفل إلى جانب بعض الزخارف المستمد من الفن السوري فملأت الأشكال الهندسية المستمدة من قصر الحمراء أي الفن الأندلسي عموما أكثر من الزخارف النباتية كل أركان القصر الذي يتم على الأثر العظيم للموريسكيين وروعة فناه وحسن ذوق بانية، فكان ذلك من المباني المتناهية النهاء

[1] القويزي فاطنة، **الموريسكيون وتأثيرهم الثقافي في بلاد المغرب خلال القرنيين 15-18م**، مذكرة الماستر ، جامعة المسيلة ، 2012-2013 ، ص114.

والإشراف المباهية لوزراء العراق، وغيرها من المباني التي هي جنات الدنيا فتشبه المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور حيث يقول فيه أحد الشعراء.[1].

ت- المساجد

بإعتبار أن المساجد جانب مهموس من جوانب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، حرص المسلمون منذ أن دخلوا الأندلس فاتحين على طبعها بطابع الإسلامي البحث وكان ذلك بإنشاء مسجد جامع في قلب عاصمة قرطبة الذي يمثل مصدر الإشعاع الفني بها و قد كان موضع التعظيم من طرف الأهل الأندلس بإعتباره المركز الديني الأول ،في البلاد ففيه كان يحتفل المسلمون بالمناسبات الدينية و السياسية الهامة مثل الإحتفال بالليلة القدر و ليلة الإسراء و المعراج و إحتفال الخلفاء بتلقي البيعة وبقي يؤدي هذا الدور الهام إلا أن أصبح المثل الأعلى المساجد المغرب[2].

ث- المآذن

نشأت المآذن من الصوامع وهي الأبراج والمنابر ثم إمتزاج الطرازان معا فظهرت مآذن لمساجد الأولى التي بقي بعضها إلى اليوم وهي تتمثل أحد العناصر على الإطلاق في عمارة المسجد مع وجود تناغم في نسب التفاوت بينها وبين أبعاد وواجهات المسجد ما يوحي لناظر بالتجانس المطلوب في وجود العمارة بشكل عام [3].

ظهرت المآذن في العمارة الإسلامية لأول مرة في دمشق حيث أذن بالصلاة من أبراج المعبد القديم الذي قام فيها بعد على أنقاضه المسجد الأموي وقد كانت هذه الأبراج هي الأصل الذي ينسب على منواله المآذن الأولى في العمارة الإسلامية ولاسيما في مصر والشام وبلاد المغرب كانت المآذن في العصر الإسلامي الأول مربعة القطاع حتى الشرفة الأولى تم تستمر كذلك مربعة على شكل مثلث أو

[1]. إبراهيم حركات،المرجع السابق،ص442.[1]

[2].نفسه ،ص394.

[3] حسين مؤنس،**المساجد**، إصدار المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1981،ص 114.

دائري وتنتهي بقبة صغيرة وقد كشفت الحفريات التي جرت في مراكش ماخرا عن مئذنة مسجد إبن يوسف التي كانت ضخمة بنيت من حجر المسجد وهي تقوم على أضلاع أربعة عرض الواحد منها عشرة أمتار وقدر أحد الباحثين إرتفاعها بثلاثين مترا، وقد أنشئت أعظم المآذن وأضخمها على النمط الأندلسي في مراكش وهي مئذنة مسجد الكتبين التي تنصب شامخة البنيان حتى اليوم لقد أضافت المآذن رقة وجمال إلى المسجد يتجليان للرائي من بعيد، فارتبطت بالمساجد ارتباطا جعل منها قطعا معمارية مبتكرة خاصة بالمساجد دون غيرها مهما كان طرازها فقد عرف المعماريون المسلمون كيف يصغون منها أشكالا فنية في غاية الجمال[1].

[1] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص396.

□الخاتمة

من خلال دراستنا للموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

– تعددت وتنوعت مراكز التعليم بالمغرب السعدي، فبرزت المساجد والمدارس في الحواضر الكبرى والصغرى، والزوايا في المراكز البدوية والقروية، إذ تحولت من الإشعاع الديني إلى الإشعاع الثقافي، كما ظهرت بعض الأسر العلمية وحملت على عاتقها المشعل فواصلت نشر العلم.

– حيوية الفكر المغربي ومواكبته أحداث العصر فقد تعددت اهتمامات المثقفين السعديين، وتطرقت كتاباتهم ومؤلفاتهم إلى المشاكل السياسية والاقتصادية التي عاشتها بلادهم ولعل من العوامل التي ساهمت في حيوية التأليف هو ظهور النساخة والوراقة وكثرة المكتبات.

– أما التعليم فقد عم جميع البلاد وجميع الطبقات دون تمييز، حتى أن المرأة أخدت نصيبها واستفادت منه، وقد ساهم الوقف هو الآخر في التعليم إذ تولى تشييد وبناء المؤسسات التعليمية بدءا من المؤسسة الأم وهو المسجد.

– إتخاد العلاقات الثقافية بين البلدان صورا متعددة، من خلال تنقل رجال العلم وطلبته وإعمار العلماء والطلبة للمراكز الثقافية المتعددة، وكل هذه الصور لا صبغة رسمية لها ولا معاهدات تحددها، وإنما أتت طبيعية وعفوية فرضتها عناصر الترابط الأصلية بين البلدان.

– تميز الفن المعماري السعدي بمزايا خاصة في التخطيط المعماري في المساجد والمدارس ومختلف مجالات العمران.

– إعتناء الأشراف السعديين بإصلاح وتوسعة وتجديد مآثر دينية تاريخية عديدة من زوايا وأضرحة وغيرها.

– لقد كان من مميزات الملوك السعديين تشييد المباني والمؤسسات الحضارية بما فيها من منجزات هندسية وابتكارات معمارية وفنون، تركت آثارها في قبور الأشراف السعديين وغيرها من المآثر بما فيها من نقش وزخرفة.

– إعتماد الأشراف السعديين على مواد بناء كالفخار والجص والزليج بمختلف أنواعه في صور ناصعة لمختلف تركيباتها الزخرفية.

– إعتناء الأشراف السعديين بالعمارة الحربية بما فيها من الأبراج كعنصر دفاعي عن مملكتهم.

– تميز الفن المغربي بطراز جديد للفنون المغربية في عصر الأشراف السعديين تحدثنا به آثار قصر البديع بمراكش الذي يكفي وحده بما شمل عليه من مفاخر العمارة والفنون الجميلة وما احتواه من أنواع البدائع وغرائب العجائب.

– حفظ الملوك السعديين تراث المغرب الحضاري المعماري وسلموه رائعا رائقا لأبناء عمومتهم الأشراف العلويين.

– كان للمورسكيين دورا و تأثير ثقافي بارز في بلاد المغرب عامة والمغرب الأقصى خاصة في مختلف الجوانب العلمية من خلال مراحل التعليم والعلوم التي برعوا فيها كالحساب والهندسة وعلوم القراءات والفلك والطب.

– تأثير المورسكيين كذلك يظهر في الجانب العمراني في زخرفة الدور والقصور والمساجد وغيرها من المباني.

الملاحق

ملحق رقم 01: تخطيط جامع مواسين و جامع باب دكالة بمراكش [1]

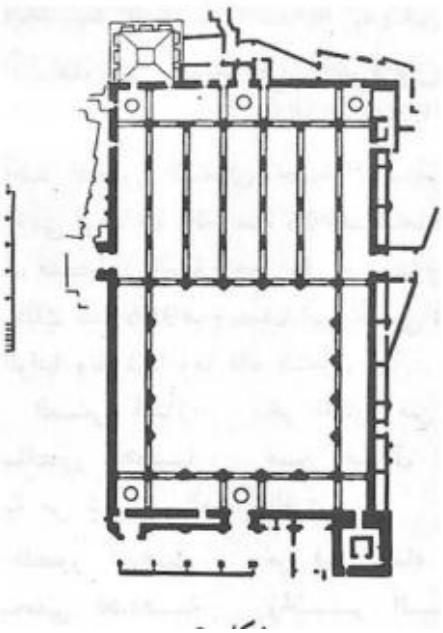

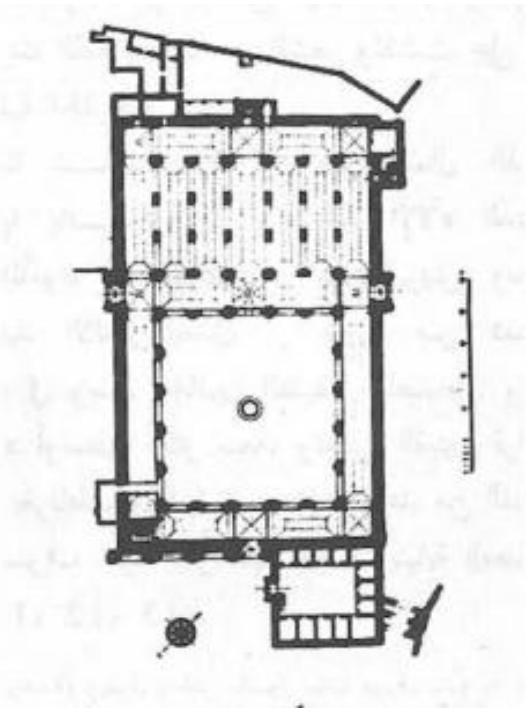

[1]- عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 76.

ملحق رقم 02: صحن جامع القروين[1]

ذ

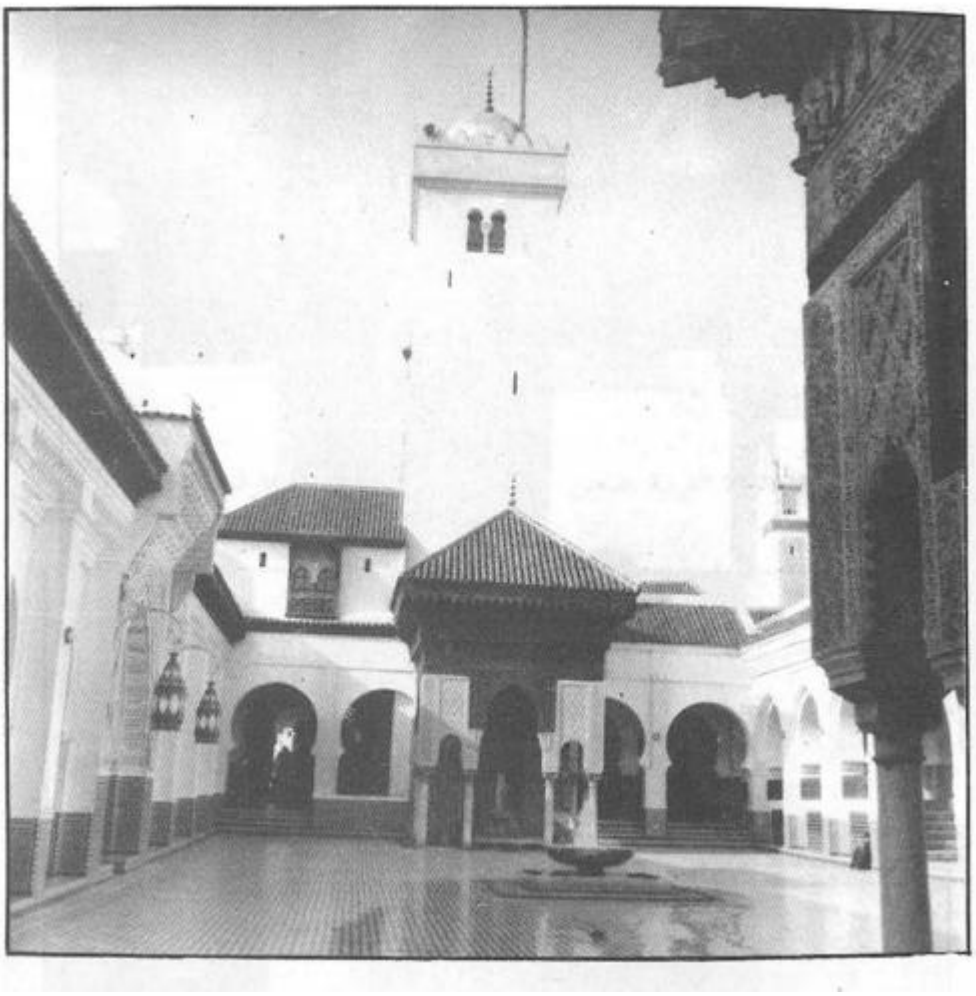

[1]- عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 77.

ملحق رقم03: جامع القروين بفاس داخل بيت الصلاة[1]

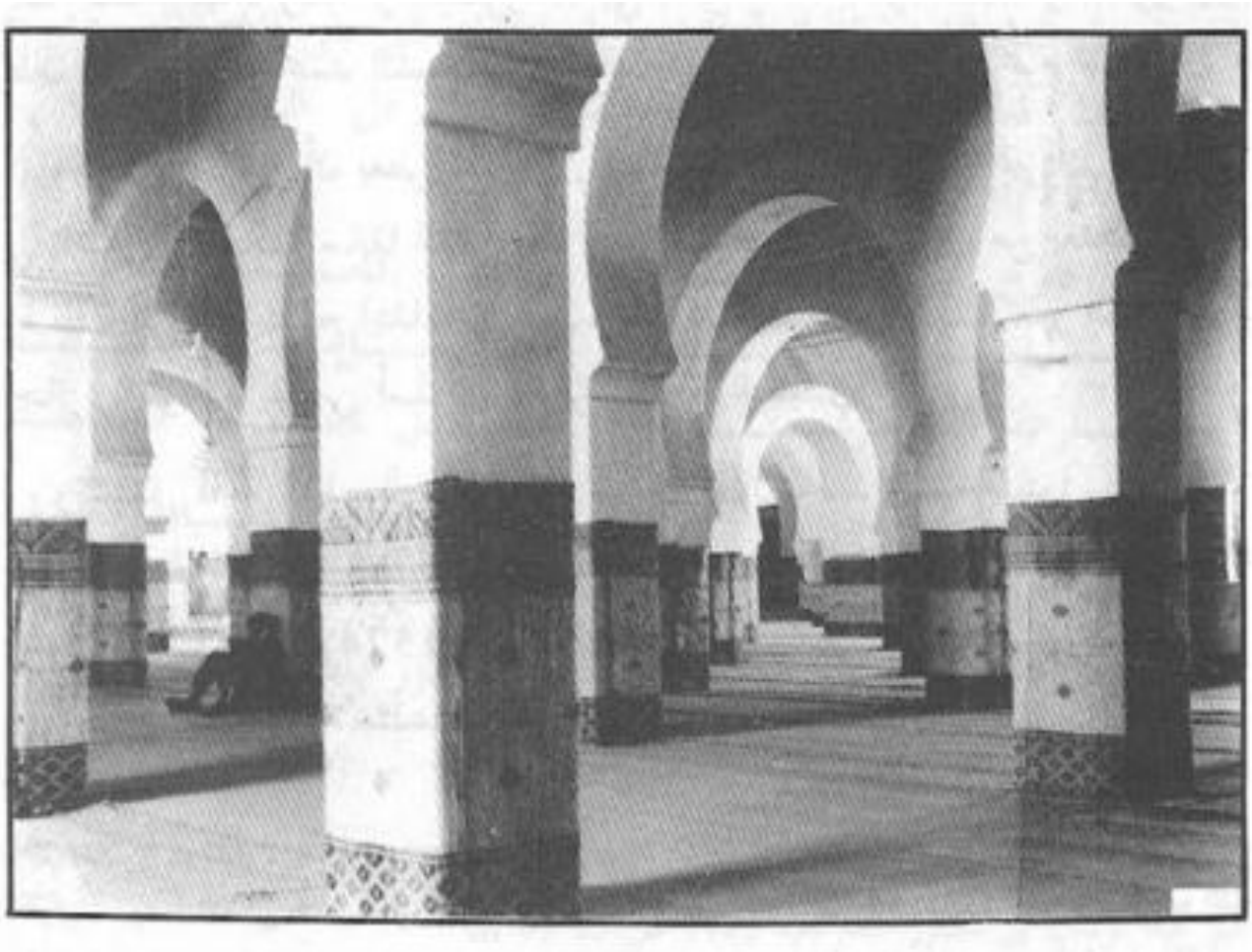

[1]- عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 79

ملحق رقم 04 : أضرحة و قبور الأشراف بمراكش ، العمارة و الزحرفة [1]

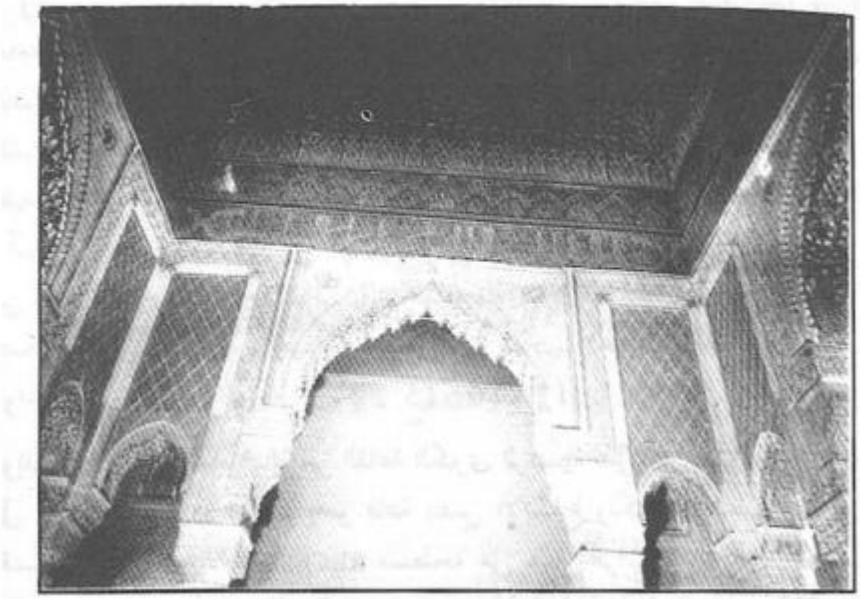

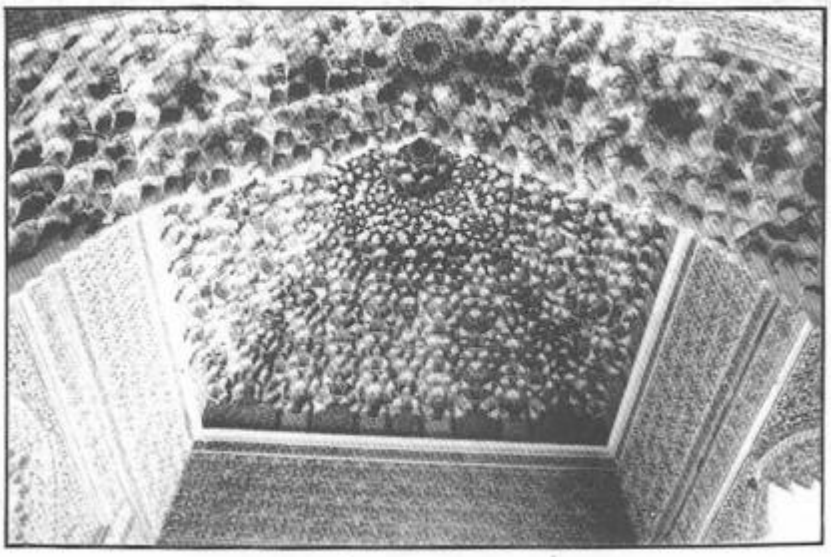

[1]- عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 85.

ملحق رقم 05 :برج الشمال بمدينة فاس التخطيط الارضي [1]

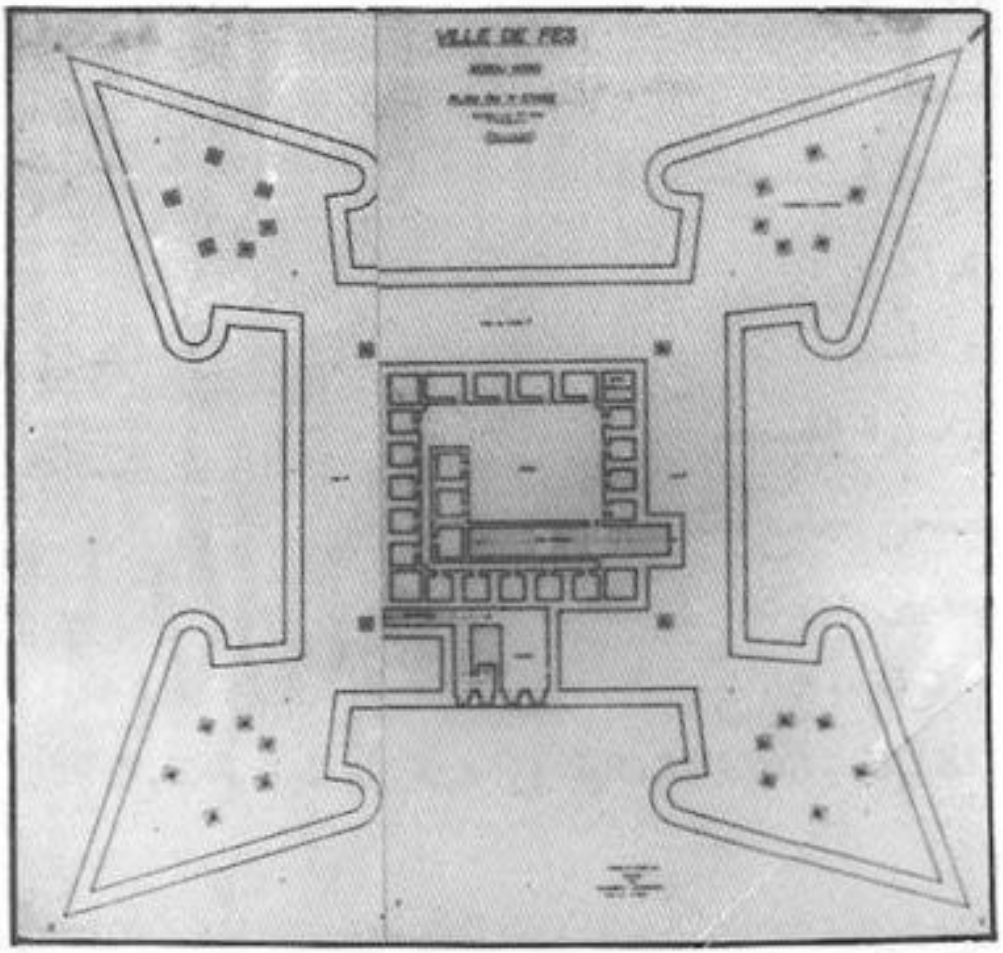

[1]- عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 59.

ملحق رقم06:التصميم البرتغالي للقصبة السعدية [1]

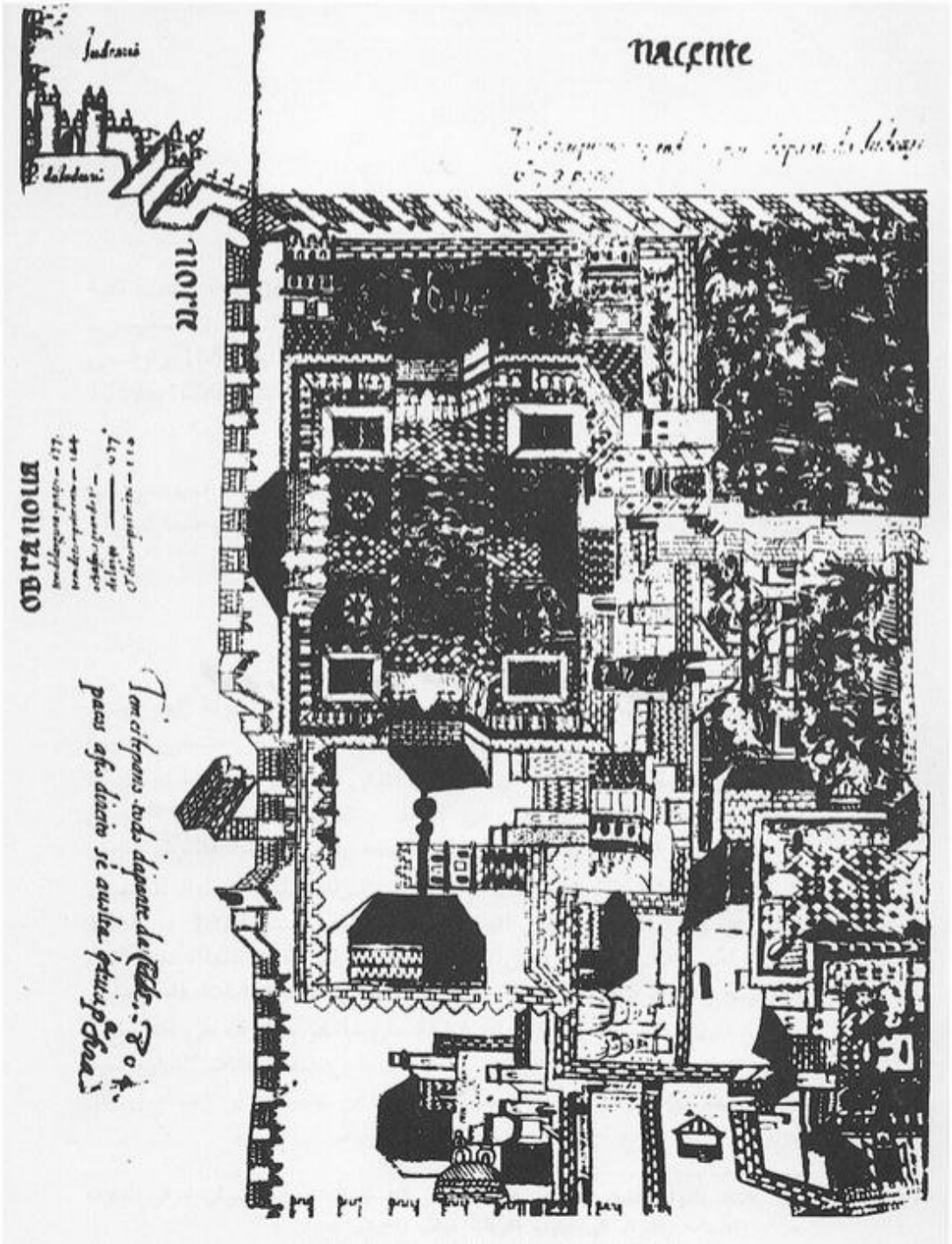

[1]- عبد الهادي التازي(قصر البديع بمراكش)، المرجع السابق ، ص 26 .

ملحق رقم 07 : أبواب قصر البديع [1]

[1]- عبد الهادي التازي (قصر البديع بمراكش) ، المرجع السابق ، ص 39 .

ملحق رقم 08: قصر البديع بمراكش منظر عام للبقايا والآثار[1]

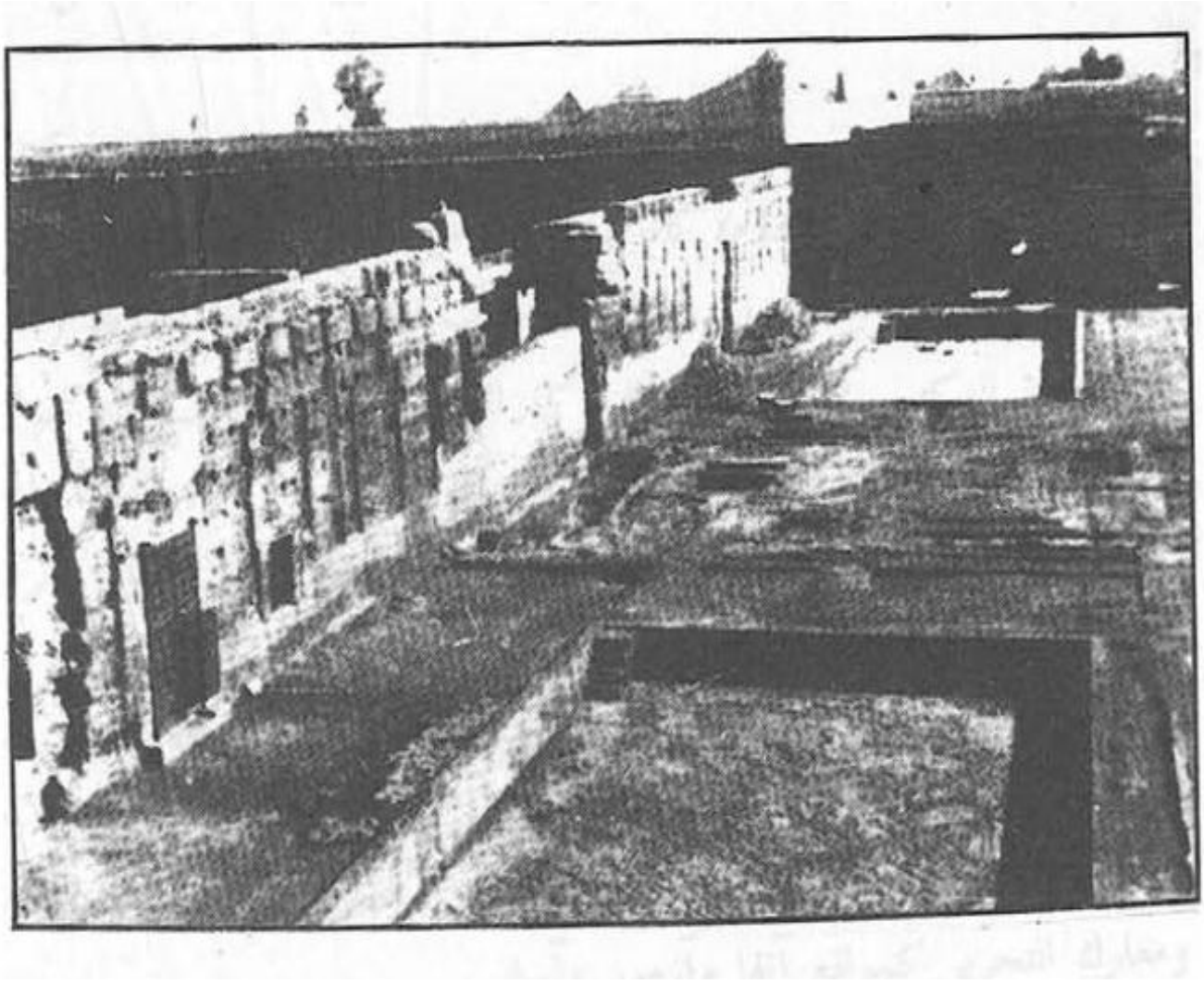

[1] - عثمان عثمان اسماعيل ، مرجع سابق ص 93 .

ملحق رقم 09 : مدرسة ابن يوسف بمراكش التخطيط و واجهة بيت الصلاة [1]

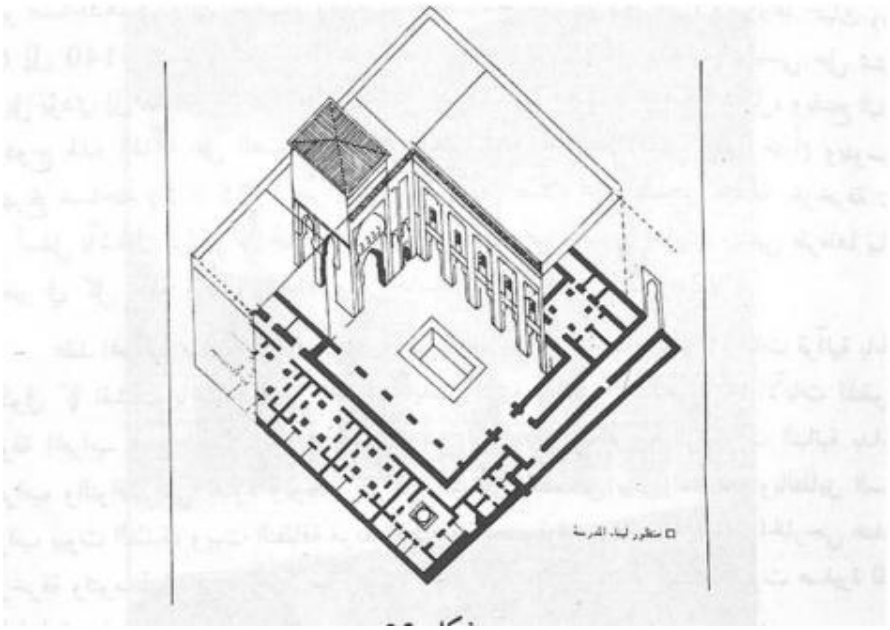

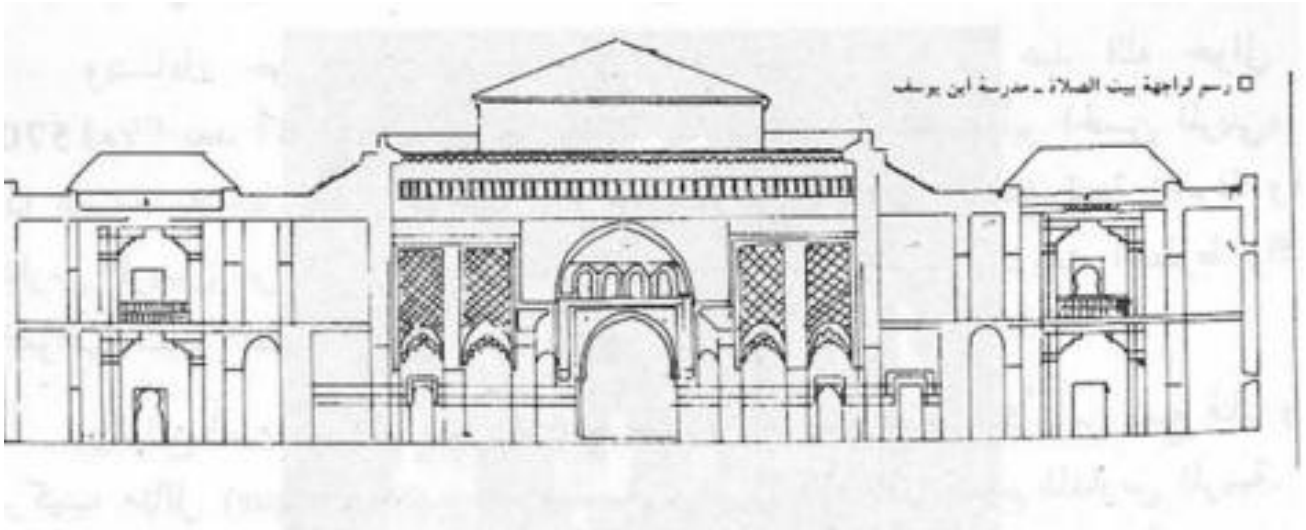

[1] - عثمان عثمان اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 99.

ملحق رقم 10:البيوت الاندلسية في مدينة تطوان[1]

اسم العائلة	ملاحظات	اسم العائلة	ملاحظات
ابن طلحة		الركيك	ما زالت موجودة
ابن الأحمر	ما زالت موجودة	الرنيني	
احزول	ما زالت موجودة	الرندي	
اشعاش	ما زالت موجودة	زكري	ما زالت موجودة
الأندلسي	ما زالت موجودة	الطريس	ما زالت موجودة
البركة	ما زالت موجودة	طنانة	ما زالت موجودة
بوغرص		الكندير	أهل معاش وحرفة ما زالت
بابص	ما زالت موجودة	الكراس	
البانزي	ما زالت موجودة	كرازو	
بركاش		لوقاش	ما زالت موجودة
البوزلي	ما زالت موجودة	اللب	
بورطو		اللبادي	ما زالت موجودة
البوطي	ما زالت موجودة	مرابط	
التيين		مولينا	ما زالت موجودة

[1] محمد رزوق ،(الهجرات الأندلسية) المرجع سابق ، ص ص 322، 323.

ملحق رقم 11 : البيوت الاندلسية بمدينة آسفي [1]

اسم العائلة	ملاحظات
باجدُّوب	تولى بعضهم خطة العدالة، ما زالوا
الرْكُوشْ	من حصن اركش بأحواز اشبيلية، تولى عدد من أفراد هذه العائلة خطط القضاء والحسبة. ما زالوا.
مَرْخَبُو	مارس بعضهم العدالة والطب.
مُيتّه	ما زالوا
الغماز	ما زالوا.
القلعيين	تولى بعضهم خطة العدالة
الشْقُورِين	ما زالوا.
	ما زالوا.
	من شقورة، تولى عدد من أفراد هذه العائلة خطط النظارة والحسبة والعدالة. ما زالوا.
	ما زالوا.

[1] محمد رزوق (الهجرات الأندلسية)، المرجع سابق ، ص 325.

ملحق رقم 12 : البيوت الاندلسية بمدينة مكناس [1]

اسم العائلة	ملاحظات	اسم العائلة	ملاحظات
ابن ابراهيم	انقرضوا	برقوق	يوجد بعض أفرادها بفاس
ابن حليمة	بيت علم وثروة	البياضي	من حصن بلش، شرق مالقة
	ما زالت موجودة	جابر	بيت علم. انقرضوا
ابن الحاج		الخَزْمَاري	من اشبيلية، هل معاش
ابن عبد الكريم	من مالقة		وحرفة، ما زالت موجودة
	ما زالت موجودة	الدَّقِيُوقْ	من اشبيلية، ما زالتي موجودة
أبو الرخا	من غرناطة، ما زالت موجودة	الزناتي	من غرناطة. انقرضوا
انويزر	من غرناطة كان فيهم	طُوجَّة	انقرضوا
	علماء وفقهاء وصلحاء	كُدِيَّشْ	من غرناطة، انقرضوا
	انقرضوا	اللُّب	من غرناطة، بيت علم ورياسة
أنقاع	من غرناطة		انقرضوا
الازرق	من اشبيلية	اللمتوني	انقرضوا
	ما زالت موجودة	المسطاسي	ما زالت موجودة
امساع	انقرضوا	المعلّى (احمد	
		بن عبد	
		الرحمان)	
اصيقال	انقرضوا	الصفار (حَمٌّ)	من غرناطة، ما زالت موجودة
الأشقر			
(عبد القادر)		الصفار الجاج	ما زالت موجودة
البيجَري	من غرناطة، بيت علم	ابراهيم	
	ما زالوا	الصفار	
		(رمضان)	من هورناتشوس
بوراس	من غرناطة	الصفار	ما زالت موجودة
	انقرضوا	صَفَنْدَلَة	ما زالت موجودة
البَارْوَا	من اشبيلية، بيت	عبد القادر	
	علم. انقرضوا	بن العرب	
		(الحاج)	من غرناطة
البتولي	من مالقة، انقرضوا	عبد القادر	
البياني	بيت علم	(الحاج)	من غرناطة
	انقرضوا		

[1] - محمد رزوق (الهجرات الاندلسية)، االمرجع السابف، ص 317 .

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم، رواية ورش.

المصادر:

1. إبن خلدون عبد الرحمان ،**المقدمة**، ط1، دار إبن الجوزي، القاهرة ، 2010م.

2. إبن سودة عبد السلام ، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، مكتب الدراسات و البحوث، دار الفكر ، لبنان،1997.

3. أبو العباس الناصري أحمد بن خالد ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج6، دار الكتاب ، المغرب، 1995م.

4. الإفراني محمد الصغير ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح: عبد اللطيف الشاذلي، ط1998،1 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988.

5. البرتلي أبيعبد الله ، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1401 ه.

6. التنبكتي أحمد ، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبد الحميد عبد الله، ج1-2، ط1،كلية الدعوة الاسلامية ، ليبيا، 1989 م.

7. الحموي ياقوت ، **معجم البلدان**، ج2، (د.ط)، دار صادر، لبنان، (د.ت).

8. السعدي عبد الرحمان ، **تاريخ السودان**، تج: هداس، (د.ط)، المكتبة الأمريكية والشرقية، فرنسا ،1981م.

9. العياشي أبي سالم ، **إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**، نفيسة الذهبي، ط1، (د.ن)، الرباط،1996 م.

10. العياشي عبدالله ، **الرحلةالعياشية** (1661-1663)، تج: سعيد الفاضلي، ج1، ط1، دار السويدي، أبو ظبي،2005 م.

11. الفكون عبد الكريم ، **منشوات الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية**، تق وتج: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان،87 19م.

12. القشتالي أبي فارس ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، (د.ط)، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، (د.ت).

13. كربخال مارمول ، **إفريقيا**، تج: محمد حجي، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984.

14. كربخال مارمول ، **إفريقيا**، تج: محمد حجي،ج2، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط،1989.

15. مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تج:عبد الرحيم بن حادة، ط1، دار الكتاب، المغرب، 1994م.

16. المقري أحمد ، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس** ، ط2، المطبعة الملكية، المغرب، 1983م.

17. الوزان الحسن ، **وصف إفريقيا**، تج: محمد حجي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

ـ المراجع :

أ. العربية:

1. الأرقش دلندة وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ،تونس، 2003م.
2. إسماعيل عثمان عثمان ،**تاريخ العمارة و الفنون التطبيقة بالمغرب الأقصى**، ج5، ط1،الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993م.
3. أكنوش عبد اللطيف ، **تاريخ المؤسسات والوقائع الإجتماعية بالمغرب**، مطابع إفريقيا الشرق ،المغرب، (د.ت).
4. بروقنصال ليقي ، **مؤرخو الشرفاء**، تج: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1977.
5. بروقنصال ليقي ،**نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى**،مطبوعات لاروز، باريس،2010م.
6. التازي عبد الهادي ، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**(من أقدم العصور إلى اليوم)، ج8، مطابع فضالة، المحمدية، 1988.
7. التازي عبد الهادي ، **جامع القرويين**، ج 2، ط2، دار نشر المعرفة ،المغرب، 2000م.
8. التازي عبد الهادي ، **قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا** ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، 1911م.
9. التازي عبد الهادي ، **مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، ج1، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة، 2005.

10. حجي محمد ، **الزاوية الدلائية** (دورها العلمي والسياسي)، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1988.

11. حجي محمد ،الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،ج2، (د .ط)، دار الغرب للنشر، الرباط، (د.ت).

12. حركات إبراهيم ،**التيارات السياسية والفكرية بالمغرب**، ط2، دار الرشاد الحديثة، الجزائر، 1994م.

13. حركات إبراهيم ،**المغرب عبر التاريخ**، ج2، ط1، دار الرشاد الحديثة، الجزائر، 1978م.

14. رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.م.ن) ،1991م.

15. السائح حسن ،**الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر و التوزيع، دار البيضاء ،1986.

16. سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1998م.

17. سعد الله أبو القاسم ،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج4، ط1، دار لغرب الإسلامي ،بيروت، 1996.

18. ضيف شوقي ، **عصر الدول و الإمارات**(الجزائر، المغرب الأقصى، مورطانيا،السودان)،ط1، دار المعارف، مصر،1119.

19. عامر محمود علي وخير الدين محمد ،**تاريخ المغرب الحديث**(المغرب الأقصى، ليبية)، ج1، جامعة دمشق للطباعة، دمشق، (د.ت).

20. عطاء الله الجمل شوقي ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1977م .

21. العقبي صلاح مؤيد ، **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر**، دار البراق، بيروت، 2002م.

22. الغربي محمد ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، إشراف نيقولا زيادة،(د .ط)، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.

23. فارس محمد خير ،**تاريخ المغرب العربي الحديث**، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق،(د.ت).

24. القبلي محمد ،**تاريخ المغرب**، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ،2011م.

25. قشتيليو محمد ، **حياة المورسكوس الأخيرة بإسبانيا و دورهم خارجها** ، ط1، مطابع الشويخ ، تطوان ،2001.

26. كريم عبد الكريم ،**المغرب في عهد الدولة السعدية** ،ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،المغرب، 2006 .

27. المريني عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، .العيونيعبدالكريم،التكوينالحضاريلتمويلالوقفللمؤسساتالتعليميةفيالمجتمعاتالإسلامي، (د.د.ن)، (د.م.ن)، 1997.

28. المنوني محمد ،**تاريخ الوراقة المغربية** ،ط1، (د.د.ن)،(د.م .ن)، 1991م.

29. مؤنس حسين ،**المساجد**، إصدار المجلس الوطني لثقافة والفنون والأدب، الكويت،1981.

30. النحوي الخليل ، بلاد شنقيط (المنار ..والرباط)، (د.ط)، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

31. وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، **مساجد مغربية عبر التاريخ**، ج1، رواق المكتبية الوسائطية، الدار البيضاء، 2010م.

32. يحياوي جمال ، **سقوط غرناطة و مأساة الأندلس** (1492-1610م)، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر ، 2004م.

ب.الأجنبية:

1.Martin AGP : Quatre si ècle d'histoire marocaine(1504–1904) paris 1923

الموسوعات:

1.شلبي أحمد ،**موسوعة الحضارة الإسلامية** التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،ط11،مكتبة النهضة المصرية،(د.م.ن)،1999م.

2.الغنيمي عبد الفتاح ،**موسوعة تاريخ المغرب العربي**،ج6،ط1،مكتبة مدبولي، القاهرة ،1994م.

المذكرات:

1. بن قايد عمر، **علاقات المغرب الاقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية**(فرنسا و إسبانيا)، مذكرة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر، 2010م.
2. بن قومار جلول ، **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا**، مذكرة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2010م.

3. بوخروف عمار ، **العلاقات بين الجزائر و المغرب** 923-1069ه/1517-1659م، مذكرة ماجستير، دمشق. 1983.

4. سالمي زينب ،**الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن08-10ه**، مذكرة ماجستير،جامعة تلمسان،2011-2012م.

5. غربي الحواس ، **السيادة السعدية بالبلادالسودانية**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر ،2009/2008م.

6. القويزي فاطنة، **الموريسكيون و تأثيرهم الثقافي في بلاد المغرب خلال القرنيين** (15-18م)، مذكرة ماستر، جامعة مسيلة، 2012-2013.

المجلات و الندوات:

1. جعفري مبارك ،**مجلة الواحات** ،العدد15 ،2011م.

2. حجي محمد،**ندوة المغرب الشرقي الماضي و الحاضر**،(د.ط)،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،(د.م.ن)،مارس1986م.

3.عبد العليم مروة ،**مجلة إفريقيا قارتنا**، العدد 12، أبريل،2014م.

4-بربيش عبد اللطيف، **الموريكسيون في المغرب**، الندوة الثانية، مجموعات أكاديمية المملكة المغربية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 2001.

المعاجم:

1. الصالح صالح العلي، **المعجم الصافي في اللغة العربية**،(د.د.ن)،الرياض،1981م.

المخطوطات:

1. المقري أحمد، **رحلة المقري إلى المغرب و المشرق** ،تج:محمد بن معمر ،(د.ط)، مكتبة الرشاد،.(د. م ن) ، (د. ن ت)

فهرس المحتويات

الفهرس

مقدمة: ..... أ – د

الفصل التمهيدي:الأوضاع العامة للمغرب الأقصى وقيام السعديين 14 - 06

I. ضعف الوطاسيين وقيام السعديين 08- 06

ضعف الوطاسيين 08

قيام الدولة السعدية 10- 08

II. أصل السعديين و فتح بلاد السودان 12-10

نسب السعديين و مواطنهم 11-10

فتح بلاد السودان 12

III. أهمية الدولة و إسهامها الحضاري 17-13

عسكريا 13

إقتصاديا 17-14

الفصل الأول : الحركة الفكرية في عهد السعديين 30-19

I. المراكز الثقافية 19

الكبرى و الصغرى 22-19

القروية 24-22

درعة وسوس و تفيلالن..... 27-25

الصحراء و السودان 30-28

II. الحركة التعليمية و الأدبية 40-30

حركة التأليف ..... 37 – 30

التعليم ..... 40 – 38

الوراقة 41- 40

III. **التبادل الثقافي مع أقطار المغرب و المشرق و نتائجه** 47-42

التبادل الثقافي مع الجزائر و السودان ..... 45 -42
التبادل الثقافي مع دول المشرق (الحجاز)..... 46-45
نتائج التبادل الثقافي (الإجازات) 47
الفصل الثاني: الفن المعماري السعدي 75-49

I. العمارة الدينية 59-49
المساجد..... 54-49
الأضرحة ..... 59 – 56
II. العمارة العسكرية 64-59
الأبراج 62-59
القناطر 62
-القصبة 64-62
III. العمارة المدنية 75-64
القصور 70-64
المدارس 75-71
الفصل الثالث: الموريكسيون و ميادين مساهمتهم (تأثيرهم) 95-78

I. الهجرات الأندلسية 83-78
تعريف الموريكسيون 79-78
موقف بلاد المغرب من هجرتهم 80- 79
مراكز إستقرارهم 83-81
II. التأثير العلمي 90-83
التعليم 85-83
العلوم التي برع فيها الموريسكيين 90-85
III. التأثير العمراني 95-91

الدور 92-91
القصور 94-93
المساجد 94
المآذن 95
الخاتمة 98-97
الملاحق 112-100
بيبليو غرافيا 114-121
- الفهرس 124-122